

الفصل السادس عشر بعد المئة

الفن الجاهلي

العارة :

لظهور الفن وازدهاره في مكان ما لا بد من توفر تربة خصبة فيه تمونه بالمواد الأولية اللازمة ، ولا بد من وجود جو يساعد على نمو بذوره وانماؤها وازدهارها .
وجزيرة العرب أرض كما نعلم غلب عليها الجفاف وتحكمت فيها أشعة الشمس المحرقة والسموم الحارة الجافة ، وهي ذات جو مشرق صاف صاح في الغالب ، ولكنه جاف يابس ، لا تبكيه السماء في الغالب إلا بمقدار ، فإذا سالت دموعه، انهمرت انهاراً ، وتحولت الى سيول جارفة عارمة سرعان ما تختفي وتزول ، بأن تغور في باطن الأرض ، وقد تنزل الأمطار نزولاً لا بأس به ، فتخضر الأرض وتنبت الأزهار والأعشاب ، وتضحك ويضحك الناس معها ، وتهبج قرائحهم لفرحهم وطربهم من حصولهم على هذه النعمة الكبرى ، التي لا تدوم طويلاً ، وهذا أمر يؤسف له ، أو قد لا تعود اليهم ثانية إلا بعد أجل ، لانحياس البخار مولد المطر ، فيلجأ المخلوق الى خالقه يتوسل اليه أن يغيثه بانزال الغيث عليه بكل الوسائل التي يتوصل اليها عقله لاقتناعه آهتته بانزال المطر ليغيث الانسان والحيوان والنبات .

ولظهور العارة وفن النحت والزخرف ، لا بد من وجود أحجار صالحة للبناء أو للنحت والحفر ، حتى يكون في امكان المعمار أو النحات تحويلها الى أبنية أو

أصنام وتمائيل أو ما شاكل ذلك . وأرض سهلة لا حجر طبيعي فيها لا يمكن أن يظهر فيها بناء أو فن إلا اذا كانت قريبة من مواطن الحجر أو من مواطن الحضارة حيث تستوردها عندئذ من تلك الأماكن . لذا نجد الفن الجاهلي قد تركز وانحصر وبرز في العربية الغربية وفي العربية الجنوبية وفي المواضع القريبة من مواضع الحجر ومن أهل المدر في الغالب .

وفي اليمن أنواع من الأحجار الصالحة للبناء وللنحت ، كما توفرت فيها ، المواد المساعدة الأخرى التي تدخل في انشاء العمارات مثل الجبس . ولهذا قامت فيها بيوت مرتفعة ذات طوابق متعددة، ولا يزال أهل اليمن وبعض أهل المواضع الأخرى من العربية الجنوبية يبنون البيوت والقصور المرتفعة السامقة ، وما كان يوسعهم ذلك لولا وجود المواد الصالحة للبناء ، التي تستطيع البقاء ومقاومة الطبيعة أمداً^١ . وبفضل المواد المذكورة بقيت أبنية من أبنية الجاهليين اليانين الى الإسلام بقيت محافظة على نفسها وعلى شكلها العام ، ولولا يد الإنسان التي لعبت بها وخربت أكثرها لبقيت أزمنة طويلة أخرى ولا شك . ولو كانت تلك الأبنية قد بنيت بالطابوق أو باللبن وبالمواد المستعملة في البناء في وسط وفي جنوب العراق ، لما تمكنت من البقاء طويلاً ، لأنها مواد لا تتحمل معاركة الطبيعة زماناً طويلاً ، لذلك تنهار بسرعة إذا لم ترعاها يد الإنسان دوماً بالاصلاح والتعمير^٢ .

وقد ساعدت وفرة الرخام والحجارة الصلدة في اليمن في التعويض عن استعمال الخشب القوي الصلد في البناء فاستعمل المعمارون الأعمدة العالية الجميلة ذوات التيجان في رفع السقوف وفي إقامة الردهات الكبيرة وفي « الطارمات » أمام الأبنية ، وفي واجهات المعابد بصورة خاصة ، استعملوها بدلاً من الخشب الذي لا يتحمل الثقل كما يتحملة الحجر ، والذي لا يعمر طويلاً كما يعمر الحجر . وبفضل هذه الحجارة استطاع المعمارون أن يستفيدوا من الماء بإقامة السدود القوية التي تتحمل ضغط السيول العالي عليها ، وهذه ميزة لا نجدتها بالطبع في العراق .

وقد ساعدت طبيعة اليمن عامل البناء في نحت الحجر وقطعه وصقله وتكيفه بالشكل الذي يريده . وتمكن بذلك من وضع أحجار مصقولة بعضها فوق بعض

١ A. Grohmann, S. 140.

٢ A. Grohmann, S. 140.

لتكوين أعمدة منها أو جدر معبد أو حيطان سدود أو قصور بحيث يوضع حجر فوق حجر ، فيجلس فوقه بصورة يصعب على الإنسان أن يتبين منها مواضع اتصال الحجر بعضه ببعض . ولولا وجود الحجر الجيد لديه لما تمكن من القيام بإنشاء الأبنية الضخمة المؤلفة من جملة طوابق والتي قاومت الدهر ، ولكان بناؤه من الطابوق ، أي من اللبن الذي حُجِرَ بالنار ، والطابوق لا يمكن أن يقوم مقام الحجر في البناء ، ولا أن يقاوم الطبيعة وأن يعمر طويلاً . ونظراً لصغر حجمه بالنسبة الى الحجر ، ولضرورة ربطه بعضه ببعض بمادة ماسكة مثل الجبس فإن البناء به لا يمكن أن يكون متيناً ، ولا يمكن أن يقاوم الرطوبة والعوامل الجوية الأخرى ، فيتآكل ويتداعى ، ولا سيما في المواضع السهلة ذات الرطوبة ، أو التي تتساقط عليها الأمطار بكثرة، فتكون سيولاً عارمة تكتسح ما تجده أمامها من أبنية مبنية بمادة غير متينة متانة الحجر .

وتفيدنا دراسة المباني البانية في الزمن الحاضر فائدة كبيرة في تكوين فكرة عن البناء عن أهل اليمن قبل الاسلام. ففي هذا البناء الذي نراه عناصر عديدة لا تزال حية باقية ، هي من بقايا البناء الباني الجاهلي . وما قاله « الهمداني » في صفة بعض المباني والقصور الجاهلية التي كانت قائمة في أيامه ثم زالت ، ينطبق على أوصاف القصور والمباني القائمة الآن ، كما أن في دراسة أسماء أجزاء البناء وما يستعمل فيه فائدة كبيرة في حل كثير من المعضلات الفنية المتعلقة بفن العمارة عند الجاهليين .

وقد زال أكثر المباني الجاهلية ، ويا للأسف ، بسبب اعتداء الانسان بجهله ، عليها . فقد حمه كسله وجهله على تدمير تلك الأبنية ، لاستعمال حجارتها في بناء بيوت جديدة ولأغراض أخرى . ونجد في الأبنية الحديثة ، وأكثرها أبنية رديئة قبيحة بالقياس الى القصور القديمة ، حجارة ضخمة ، بعضها مكتوب كتابة كاملة انتزعت من الأبنية الجاهلية ، وبعضها ناقص الكتابة لتلف الكتابة المكتملة أو لنقلها إلى موضع آخر . ونجد حجارة مكتوبة وقد طليت بالجبس ، لاعطاء الجدار الذي دخلت فيه وجهاً أملس . ونجد في الكتب القديمة مثل كتب الهمداني إشارات الى مثل هذه الأعمال ، التي ما تزال جارية مستمرة بالرغم من قرار الحكومات المعنية بمنع هذه الأعمال . وقد حطمت تماثيل جميلة عثر عليها بين الرمال ولا تزال تحطم ، لأنها في نظر العائرين عليها أصنام لقوم كفر ، وتماثيل قوم ممسوخين

غضب الله عليهم ، فلا يجوز الاحتفاظ بها ، فهشمت وعبث بها ، وبذلك خسر العرب كنوزاً فنية وذخائر لا تقدر بثمن، كان في وسعنا الاستفادة منها في تدوين تاريخ الجاهليين .

وقد حطمت ودمرت قصور عظيمة في اليمن، بقيت بعضها قائمة الى الاسلام، مثل قصر (غمدان) بصنعاء ، الذي يبالغ أهل الأخبار في وصف ارتفاعه وضخامته، وقد كان مؤلفاً من طبقات بعضها فوق بعض ، ثم هدم وقلّ في الاسلام ، أمر الخليفة (عثمان) بهدمه ، فزالت معالمه ، ولو بقي إلى اليوم لكان من المفخر ، ومثل المعابد الضخمة، وقصور الأسر الحاكمة ، مثل قصر (شمر) بلذي ريدان ، وأبنية أخرى قوضت لأسباب عديدة ، فضاع بذلك علينا تراث مهم . وفعل مثل ذلك في الأبنية الأخرى . ففي العراق مثلاً ، هدمت قصور الحيرة وبيوتها، لاتخاذ حجارتها مادة لبناء الكوفة ، و « وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر ، ان المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور ، وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم »^٢. وقد أضاعت علينا هذه الأعمال معالم قيمة من تراث الجاهليين .

وقد هدم قصر (يهر) (ذي يهر) ببيت حنبل ، وهو أثر جاهلي مهم ، بقي قائماً الى حوالي سنة (٢٩٥) للهجرة ، فأمر بإحراقه (ابن أبي الملاحف) القرمطي ، فأحرق ، وظلت أخشابه تحترق أربعة أشهر على ما يزعمه الرواة ، مبالغة منهم بالطبع^٣ .

ولأهل اليمن عادات جميلة أفادتنا فائدة طيبة ، وذلك بوضعهم على الجدر حجارة مكتوبة تحمل اسم الدار أحياناً واسم صاحبها واسم الإله الذي تبرك صاحب المبنى بتقديمه إليه تيمناً به ، حتى الترميمات والاصلاحات التي يقوم بها أصحاب البناء تدون على هذه الحجارة ، ولا سيما الترميمات والاصلاحات التي تدخل على المعابد والمباني العامة ، تعين عليها بدقة تامة ، فيذكر الموضع الذي ابتداء به والموضع الذي انتهى منه ، ويذكر مقدار ما صرف عليه في بعض الأحيان .

- ١ تاج العروس (٢ / ٤٤٦) ، (غمد) .
- ٢ البلاذري ، فتوح البلدان (٢٨٤) .
- ٣ الاكليل (١ / ١٢) (حاشية رقم ١) .

ومن هذه الكتابات أخذ معظم علمنا بتاريخ اليمن القديم .
ويظهر أن أهل الحجاز لم يكونوا على شاكلة أهل اليمن في بناء البيوت الضخمة من الحجارة والمواد البنائية الأخرى التي يعمّر بها البناء عمراً طويلاً ، بدليل ما نشاهده في اليمن وفي مواطن أخرى من الجزيرة العربية من بقايا معابد ومبانٍ ضخمة ، وعدم وجود شيء من ذلك في الحجاز ، وبدليل ما أورده أهل الأخبار من قصص عن مباني اليمن العادية ، وما شاهدوه من بقاياها في أيامهم هناك ، وهي تتحدث عن فن عمراني متقدم ، على حين خلت أخبارهم من هذا القصص عن الحجاز ، بل يظهر منها أن أكثر أبنية مكة ويثرب لم تكن إلا أبنية صغيرة ضيقة، أكثرها من اللبن أو الطين ، وقد عرشت بجريد النخل وبالعيدان وبالأخشاب المحتطبة من التلال والجبال . وقد عرفت بيوت أهل الحاجة في مكة بـ (عروش مكة) ^١ .

وقد امتازت (يثرب) عن مكة بوجود (الأطم) بها ، والأطم ، هي قصور تتكون من طابقين في الغالب ، أو ثلاثة طوابق ، تكون ضخمة نوعاً ما يعيش فيها سادتها ، وتكون حصوناً لأهل المدينة يتحصنون بها عند دنو خطر عليهم ، ويحمون أموالهم بها . وقد بنيت بالآجر واللبن أحياناً ، وبالطين أحياناً أخرى ، حيث يجعل الجدر عريضة ، لتقف صامدة أمام الدهر وأمام المهاجمين ، وتتخذ في أعلى الأطم مواضع يقف عليها المدافعون لرشق المحاصر بالسهم ، أو بالحجارة ، وبصب الماء الحار أو النار عليه ان قرب من جدار الأطم . وقد اتخذت الأطم في يثرب ، لعدم وجود سور حولها يحميها من الأعداء ، ولكونها مكشوفة ، لا تحميها حواجز طبيعية ، يتحصن بها أهل المدينة عند دنو الخطر منهم ، فلم يجدوا أمامهم من وسيلة سوى بناء هذه الأطم للدفاع عن أنفسهم ، على نحو ما فعل أهل الحيرة في مدينتهم ، حيث بنوا القصور .

وتوجد في أعالي يثرب إلى فلسطين بقايا حصون وقصور ومواضع قديمة ، كانت أهلة عامرة ، أما الآن فلم تبق منها غير بقية من آثارها ، وهي لا تزال مادة (خاماً) لم تكتشف ، ولم تدخلها بعثات علمية منتظمة ، وتشاهد عندها بعض

١ المغرب (٣٧/٢) ، « عروش مكة ، بيوتها لانها كانت عيدانا تنصب ويظال عليها » ، شرح القاموس (٣٢٢/٤) .

أحجار مكتوبة ، بقلم مشتق من المسند ، وبلهجات عربية تختلف عن لهجة (ال) ، أي عن العربية التي نزل بها القرآن ، مما يدل على أنها كانت في الأصل لقبائل كانت لهجاتها لا هي عربية جنوبية ولا هي عربية من عربية أهل البوادي، ولكنها كانت متأثرة بالثقافة التي تدون بالقلم المسند ، ثم تأثرت بلغة الأعراب الذين جاءوا من البوادي وذلك قبيل الاسلام ، فنزلت هذه المواضع ، وزاحت أهلها، ثم غلبتهم على أمرهم ، فاخفت اللهجات العربية القديمة، وحلت محلها لهجة (ال). وسيجد المقبولون الذين سيتقبون في المستقبل في هذه المواضع آثاراً ستحدد لهم الاتجاهات الثقافية والحضارية التي دخلت جزيرة العرب ، واللغات التي كانت سائدة فيها .

وفي المسند مصطلحات كثيرة خاصة بالبناء وبالآلات والمواد التي تستعمل فيه، وفي أجزاء البناء . واللهجات العربية الجنوبية هي أغنى بمصطلحات البناء من العربية التي نزل بها القرآن الكريم . وذلك لأن أهل العربية الجنوبية كانوا حضراً في الغالب وأهل مدر ، حتى أن أعرابهم كانوا يقيمون في أكواخ وعشش ثابتة مستقرة . لهذا كثرت في لغتهم ألفاظ الحضارة التي تقوم على الإقامة والاستقرار. وظهرت عندهم ألفاظ لمواد تستعمل في البناء مثل أنواع الصخور والحجارة ، وكيفية قطعها ، وأنواع الخشب المستعمل فيه ، وآلات القطع أو آلات المعمار وغير ذلك من مصطلحات لا نجد لها مقابلاً في هذه العربية التي نتكلم بها . وذلك لأن حضارة البناء التي ظهرت في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية للأسباب المذكورة لم يظهر ما يماثلها في المواضع الأخرى من جزيرة العرب ، حيث قام عمرانها على المدر بالنسبة للحضر . أي على الأبنية المتخذة من المدر أو من اللبن أو من الآجر. ومثل هذه الأبنية ، لا تحتاج الى مصطلحات والى آلات كثيرة ، ولما كانت الحاجة هي أم الاختراع في اللغات ، لذلك قلّت مصطلحات العمران في اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، بينما كثرت فيها مصطلحات أهل الوبر ومصطلحات البداوة ، في مثل أجزاء الخيمة وما يتعلق بحياة الفرس والجمال ، حيث قصرت دونها هنا لغة المسند .

وقد درس الآثاريون في الأيام المتأخرة موضوع الفن العربي الجنوبي ووضعوا بحثاً فيه ، استندت على الملاحظات والدراسات التي قاموا بها في مواطن الآثار أو من ملاحظاتهم للقطع الأثرية وللصور التي أخذت لها . وقد وجد بعضهم مثل

الباحثة (جاكلين بيرين) Jacqueline Pirenne ، ان الحضارة العربية الجنوبية انما برزت وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ، برزت بتأثير الحضارة اليونانية - الفارسية عليها . وقد زعمت ان القلم العربي الجنوبي أخذ من القلم اليوناني في ابتداء القرن الخامس قبل الميلاد ، وان عناصر الحضارة العربية الجنوبية ، وخاصة الفن منها مثل النحت والعمارة ، قد عرفت من مناهل يونانية - فارسية . أما ما قبل هذا الوقت ، فلم يكن لشعوب الشرق الأدنى أي أثر حضاري أو ثقافي على أهل العربية الجنوبية^١ .

وقد درست باحثة أخرى موضوع الفن العربي الجنوبي ، هي (برتاسيكال) Berta Segal . ذهب اجتهادها بها إلى أن هنالك مؤثرات حضارية خارجية أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وأرجعت هذه المؤثرات إلى أثر يوناني هيليني ، وأثر سوري حثي وأثر فينيقي وإلى عناصر حضارية أخرى . وذكرت ان هذه المؤثرات أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وتولد من هذا المزيج الأجنبي والعربي حضارة العرب الجنوبيين^٢ .

لقد تبين من دراسة الفخار الذي عثر عليه في العربية الجنوبية انه من صنع محلي ومن تصميم محلي أيضاً . وقد تبين أيضاً انه لا يخلو مع ذلك من المؤثرات الأجنبية التي أثرت عليه ، ولا سيما على المظهر الخارجي للفخار في مثل الزخرفة والشكل . فقد أثر الفخار العراقي والسوري على الفخار العربي الجنوبي . ويظهر من الفخار الذي عثر عليه في (هجر بن حميد) ، انه قد تأثر بمؤثرات شمالية سورية وعراقية^٣ .

وتقدمت معارفنا بعض التقدم بالنسبة للفن المعماري عند العرب الجنوبيين. وتوجد

Jacqueline Pirenne, La Grèce et Sabe, Paris, 1955, The Bible and the Ancient Near East, by G. E. Wright, p. 313, 319. ١

Berta Segal, Sculpture from Arabia Felix, American Journal of Archaeology, 59, 1955, p. 207., Ars Orientalis, II, 1957, p. 37, Problems of Copy and Adaptation in the second quarter of the First Millennium B.C., American Journal of Archaeology, 60, 1956, p. 165, The Lion Riders from Timna, in Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 155, The Bible and the Ancient Near East, p. 319. ٢

The Bible and the Ancient Near East, p. 320, Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 172, 1963, p. 55. ٣

لدينا فكرة عامة عن فن هندسة المعابد ، أخذناها من فحص معابد (حقه) و (مأرب) و (تمنع) و (حريضة) و (خور روري) . وتقدمت معارفنا أيضاً في موضوع أبنية المقابر والأضرحة عند الجاهليين ، وكذلك عن هندسة البيوت . وقد وجد أيضاً أن الفن المعماري قد تأثر بمؤثرات خارجية كذلك . بمؤثرات عراقية وسورية وفينيقية ويونانية ومصرية^١ .

ويظهر الأثر اليوناني على سك العملة عند العرب الجنوبيين . فقد ضرب النقد على شاكلة النقد اليوناني ، لا يختلف عنه إلا في وجود الحروف العربية الجنوبية على ذلك النقد . فالنقد العربي الجنوبي ، هو تقليد ومحاكاة للنقد اليوناني ، الذي ظهر في أيام (البطالمة) و (السلوقيين) ، ويكاد يكون قالياً لها ، أضيفت عليه حروف المسند . فالبومة التي تمثل (أثينا) ، والتي كانت تضرب على العملة اليونانية ، ضربت على النقد العربي الجنوبي ، الى غير ذلك من أمور بحث عنها علماء (النميات) .

ولكننا لا نستطيع أن نقول اليوم ان معارفنا عن الحضارة العربية الجنوبية قد تقدمت تقدماً مرضياً ، وانها صارت واضحة مفهومة ، وسوف تبقى معارفنا عن هذه الناحية وعن النواحي الأخرى ناقصة ما دامت أكثر الآثار مدفونة تحت طبقات كثيفة من التربة لم تلمسها الأيدي حتى الآن . لقد تقدمت معارفنا عن هذه النواحي على نحو ما ذكرت بسبب قيام بعض الباحثين المحدثين بالتنقيب في بعض المواضع بصورة جدية علمية وبشيء من التعمق في باطن الأرض ، ويمكن أن نتصور ما سيحصل عليه الباحثون من معلومات عن الجاهلية لو سمح لهم في التنقيب بأسلوب جدي علمي في باطن الأرض وفي مواطن الآثار .

استعمل اللحيانيون لفظة (بنى) (بنا) للتعبير عن بناء شيء . وذلك كما نفعل نحن في عربيتنا . وتشمل اللفظة بناء كل الأبنية ، من بناء بيوت أو قبور أو غير ذلك . وقد وردت في عدد من النصوص^٢ .

ويعبر عن المبني بالتعبير نفسه في العربيات الجنوبية ، فيقال (مبنى) . وإذا

١ The Bible and the Ancient Near East, p. 320.

٢ راجع النصوص ١٦ ، ٢٦ ، ٧٤ ، ٩٠ من كتاب : W. Caskel, B. 133.

أريد التعبير عن تقديم البناء الى إله أو جماعة ، كأن يسمى باسم الإله ويحبس عليه ، فيعبر عن ذلك بلفظة (قدم) أي قدم بهذا المعنى المفهوم منها في عربيتنا ، ومعنى أهدي^١ . وأما الفعل فهو (بنى) ، وذلك كما في هذه الجملة : « عسى وبنى »^٢ ، أي « تملك وبنى » . و (هبنى) ، وذلك كما في هذه الجملة : « هبنا عقبتهن قلت »^٣ ، أي « بنى قلعة قلت » . ويراد بـ (عقبت) (عقبة) القلعة . ولفظة علاقة بكلمة (عقبة) التي نستعملها نحن بمعنى صعوبة وعائق ، ونجمعها على (عقبات) .

واستعمل اللحيانيون لفظة (حفر) بالمعنى المفهوم من اللفظة في عربيتنا . استعملت لكل أنواع الحفر : حفر الأسس أو الآبار أو العيون ، أو الحفر على الأحجار والخشب ، لغرض النقش والزخرفة ، أو لأي هدف آخر .

ويشق المعاريون أسساً في الأرض للأبنية الفخمة ، كالبيوت المؤلفة من طبقات عدة كالمعابد ، لتحمل الأرض ثقل البناء . ويختلف عمق الأساس وعرضه باختلاف سمك الجدار وثقل البناء . ويحفر العمال الأرض بالقدر الذي يعينه البناء ، حتى إذا ما بلغوا العمق المقرر ، وضعوا المواد اللازمة كالحجارة أو الكلس المخلوط بمواد أخرى ، ثم يترك الأساس مدة حتى يجف ويستقر ، ثم يقام عليه الجدار . ويقال لهذا الأساس في العرييات الجنوبية (موثر) ، وهي بمعنى (الأس) والأساس والأسس في عربية القرآن الكريم^٥ .

وقد ورد في كتب اللغة ، (والوثير) : الفراش الواطيء ، وكذلك الوثر كل شي جلس عليه أو نمت عليه فوجدته وطياً ، فهو وثير^٦ .

وتؤدي لفظة (مبحر) معنى : (أساس) وسناد . فـ (مبحر) كل بناء هو أساسه وسناده في لغة السبئيين^٧ .

- ١ راجع السطر الاول من النص الموسوم بـ : ثقب الحجر .
- ٢ راجع النص الموسوم بـ Glaser 1089, 1660, Halevy 208 وهو من معين
- ٣ الجملة الثانية من نص أبنة ، Rhodokanakis, Stud., II, S. 48.
- ٤ راجع النص ٦١ من كتاب : W. Caskel, S. 133.
- ٥ شرح القاموس (٩٦/٤) ، ابن سلام ، كتاب الاجتناس من كلام العرب (ص ١٣) .
- ٦ تاج العروس (٥٩٨/٣) .
- ٧ Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 439.

وترد لفظة (برا) بمعنى بنى وأنشأ وأقام وشقّ وما شابه ذلك^١ . وترد بعدها لفظة : (هشقر) في الغالب . ومن هذا الأصل لفظة : (مبرام) (مبرا) بمعنى برىء من الدين ، وبراءة الذمة^٢ . وترد لفظة (برأ) في كتب اللغة بمعنى الخلق . و (البرية) : الخلق ، وأصله الهمن ، والجمع البرايا والبريات. والبرى: التراب^٣ .

وأما (هشقر) فمعناها أكمل الشيء ، وانتهى منه ، وأتمه وغطاه وستره . وهي من أصل : (شقر) ، وترد من هذا الأصل لفظة (تشقر) و (شقرم) ، بمعنى الأعلى والنهاية ، وذلك كما في هذه الجملة : « بتوربم اد شقرم »^٤ ، أي من الأساس إلى الأعلى ، أو إلى النهاية . و (ريب) معناها الأساس^٥ . أما أعلى البناء ونهايته ، أي تاجه الذي ينتهي عنده ، فيقال له (تفرع) . و (تفرع) نهاية الجدار وأعلاه ، والمكان الذي ينتهي فيه^٦ .

ومن العبارات الواردة في بعض النصوص المتعلقة بالبناء ، هذه العبارة : (بن موثر هو عددي مريمين) ، وهي في معنى العبارة : (بن أشرس عد شقرن) التي ترد في النصوص المعينية ، ومعناها من (الأساس الى أعلى)^٧. فلفظة (موثر) وكذلك لفظة (أشرس) هما بمعنى الأساس أي أساس البناء ، و(عد) حرف جرّ بمعنى الى ، و (مريمين) و (شقرن) كلاهما بمعنى أعلى ، أي أعلى البناء .

ويقال لتعليق البناء (تعلى) . أما تقوية البناء والجدر وحمايتها من السقوط ، فيعبر عنه بـ (تصور) ، من أصل (صور) ومعناها وضع أو تدة وأعمدة عند

-
- ١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 87.
 - ٢ المصدر نفسه (ص ٤٧ حاشية ٤٢) . - hodokanakis, Bodenwirtschaft, S. 24.
 - ٣ شرح القاموس (٣٦/١٠) .
 - ٤ الفقرة الخامسة من نص أبنة .
 - ٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 486.
 - ٦ مجلة المجمع العلمي العراقي ، (المجلد الرابع ، الجزء الاول) ، (١٩٥٦) ، (ص ٢٠٧) « السطر ١٠٣ من نص أبرهة » ، Mordtmann und mittwoch, Sab. Inschr., S. 45. f.
 - ٧ راجع النص الموسوم بـ : Sab. Denkma., S., 31, CIH 325. Mordtmann und mittwoch, Alt. Inschr., S. 25.

الجدار أو البناء للتقوية والإحكام^١ . وهي بذلك قريبة من معنى (الظئر) في لهجة القرآن الكريم .

ويعبر عن إتمام بناء ما أو اكمال شيء آخر بلفظة (تقه) و (قه) ، بمعنى (وقه) أي أكمل وأنجز . وهي مرادفة للفظه : (تفرع) ، واللفظة (هوعب) أيضاً . وكلها بمعنى الإنجاز والإكمال والانتهاء من عمل ما . ولفظة (قه) هي من أصل (وقه) . وتعني جملة: (لائقه عن) انتهى^٢ . وقد ذهب (رودو كوناكس) الى أن لفظه (وكن) هي بهذا المعنى أي اكمل وأنجز في بعض الأحيان^٣ .

ويعبر عن اصلاح البناء وترميمه بلفظة (هحدث) ، وهي فعل ماضٍ أي (أحدث) ، ومعناها أقام ورمم وأحدث وأنشأ . أما سقوط حائط أو سقف أو ما شابه ذلك ، فيعبر عنه بلفظة (تل) و (تلت) ، ومن هذا الأصل لفظه (تلو) ، أي الخرائب والتلال ، وتقابلها لفظه (خيل) في المعينية ، و (ذخبل)^٤ ، أي تداعى وسقط ووقع .

وفي معنى الاصلاح والترميم أيضاً لفظه (غوث) الواردة في الكتابات المعينية^٥ . وقريب من هذا المعنى معنى (غوث) في لهجة القرآن الكريم ، ففي الإغاثة معنى المساعدة والاصلاح وترميم التصدع وإصلاحه .

وترد مع هذه اللفظة لفظه أخرى ، هي (سعذب) ، وهي فعل ماضٍ بمعنى أعاد وأرجع الشيء إلى ما كان عليه^٦ ، من أصل (عذب) . وأما حرف السين الداخلة على أول اللفظة فإنه في مقام حرف الهاء في السبئية ، يدخلان على المصدر فيحولانه إلى فعل ماضٍ .

ويقال لمقدم كل بناء (صلوتن) (الصلوة)^٧ . وقد وردت اللفظة في كتابات

١ راجع النص الموسوم بـ : Glaser 1150, Halevy 192, 199.

وكذلك : Rhodokanakis, Stud., II, S. 54.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.

٣ المصدر نفسه (ص ٤٧) .

٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.

٥ راجع النص : Glaser 1144, Halevy 353,

Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 31.

٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 31.

٧ Rhodokanakis, Stud., II, S. 31.

دوتت لمناسبة إقامة سدود كذلك . ووردت في بعض الكتابات هذه الجملة :
 (بن ذت هورتن عدي صلوت بين ذن محرمن وميسلن)^١ ، ومعناها : « من
 هذه الجهة الخلفية الى الجهة الأمامية أو الصلاة الأمامية بين هذا الحرم وموقد
 النار » .

ويقال للجهة الخلفية من البناء (هورتن) . من أصل : (ورت) ، بمعنى
 وراء . و (ورة) في لغة أهل العراق ، وذلك كما نرى في هذا النص .

وتؤدي لفظة (صلوت) معنى (فناء) أيضاً ، وقد تؤدي معنى موضع منعزل
 أو مكان للصلاة . وقد يراد به فناء يؤدي إلى (مبسل) يقع مقابله تماماً^٢ .

وللفظة (صلوتن) (صلت) (صلوت) معنى آخر بعيد عن هذا المعنى
 بعداً كبيراً ، هو (وثيقة) و (شهادة) و (عقد) ، فتكون في معنى (سمع)
 و (اسمع) التي تطلق على هذا المعنى أيضاً في العربيات الجنوبية^٣ .

ويقال للباب (خلف) و (خلفتن) في السبئية . ويسراد ب (خلف)
 و (خلفتن) (الخلفة) الشباك كذلك^٤ . وقد كان أصحاب القصور يستعملون
 الشبايك كثيراً في قصورهم ، ويزينونها بالرخام الرقيق وبالزخارف لتظهر جميلة
 خلاصة . ويقصد ب (خلف) و (خلفتن) المنافذ الخلفية كذلك .

وتتكون الأبواب من (مصرع) ، أو من (مصرعي) ، ويراد بذلك (مصرع)
 واحد أو مصراعان^٥ .

ويعبر عن الباب ب (الخلف) في عربيتنا كذلك^٦ . وأما لفظة (مصرع
 الباب) و (المصرع) و (مصراعا الباب) فعروفة في عربيتنا كذلك^٧ .

ويعبر عن الباب العظيم ، أو الباب المغلق وفيه باب صغير : أو عما يغلط به

Rhodokanakis, Stud., II, S. 45. ١

Rhodokanakis, Stud., II, S. 46. ٢

Rhodokanakis, Stud., II, S. 44, Der Grundsatz der affentlichkeit, S. 21, 24, ٣
 Stud., I, S. 63.

Rhodkanakis, Stud., I, S. 70. والجملة الرابعة من نص ابنة . ٤

راجع الجملة الثانية من النص : Glaser 1144, Halevy 353. ٥

اللسان (٩٣/٩) . ٦

اللسان (١٩٩/٨) . ٧

الباب بلفظة (رتج) (رتاج) في اللحيانية^١ . ولفظة (رتاج) لفظة معروفة في عربيتنا كذلك .

ويعبر عن السلام والدرجات بلفظة (احلين) ، تطلق على السلام من أية مادة مصنوعة ، من الحجر أو الخشب^٢ ، كما يعبر عنها بلفظة (علوم) و (علوه) أيضاً ، لأنها طريق يؤدي إلى أعلى^٣ .

ولفظة (علية) ، والجمع (علالي) ، هي عند أهل الحجاز بمعنى غرفة أيضاً ، والجمع (غرف) و (غرفات) . وقد وردت لفظة (غرف) و (غرفات) في القرآن الكريم^٤ .

وعبر عن السقف وسطح البناء بلفظة (ظلنن) و (ظلل) أي (الظلة)^٥ و (الظل) . وذلك لاستئلال الإنسان بالسقوف وحمايتها للبيوت والغرف من وهج الشمس .

ويعبر عن الشيء المسقوف مثل ذي سقف أو ما شابه ذلك بلفظة (مسقفن)^٦ ، أي (المسقف) ، من أصل (سقف)^٧ . ووردت لفظة (مسقف) بمعنى الموضع المسقوف^٨ .

ويعرف المكان الذي ينفذ منه النور الى مكان ما (مصباح) في الحضرمية . ويمكن أن تقرأها (مصباح) كذلك . فالمصباح الكوة أو النافذة التي ينفذ منها النور الى مكان ما . والنور هو (صبحت) في الحضرمية ، وذلك كما ورد في هذه الجملة : (صبحت عينو)^٩ ، أي (نور عينه)^{١٠} .

-
- ١ النص رقم ٢٢ و ٨٥ من كتاب : W. Caskel, S. 134.
 - ٢ راجع الجملة الرابعة من النص : Glaser 1144, Halevy 353, Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, Glaser 283, Halevy 238.
 - ٣ Rhodokanakis, Stud., S. 47.
 - ٤ البيان (١٩/١) « لجنة » .
 - ٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 30, 54.
 - ٦ CIH, 182.
 - ٧ Mordmann, Hlmj. Inschr., S. 36.
 - ٨ Glaser, 799, CIH 132, Rhodokanakis, Stud., II, S. 34.
 - ٩ Oslander 29.
 - ١٠ Rhodokanakis, Stud., II, S. 28.

وأما الموضع الذي ينفذ النور اليه ، ويستقر فيه ، وقد يكون مسقوفاً وربما لا يكون مسقوفاً ، فيقال له (منحل)^١ . وعلى هذا المنحل يكون المصباح أي المنفذ الذي ينفذ النور منه^٢ .

ويعبر عن الجدار والسور بلفظة (جنا) في لغة المسند^٣ .

وقد فسر بعض علماء العرييات الجنوبية لفظة (بره) بمعنى مجاز^٤ . ومن هذا الأصل أخذت كلمة (ابرى)^٥ ، ولعلها تؤدي معنى خارج كذلك .

وترد لفظة (أدرف) في مصطلحات البناء كذلك^٦ ، وتعني طرف البناء ، وطرف كل شيء . وقد استعملت للتعبير عن تحصين جانب القلعة أو الحصن مثلاً^٧ ، أو تحصين جوانب وأطراف برج ما^٨ .

ويعرف مقدم البناء أو مقدم أي شيء بـ (قدم) وبـ (انف) . أما الجهة المضادة للمقدمة فيقال لها (معذر) ، فعذر أي بناء أو أي شيء هو الجهة الخلفية لذلك البناء أو لذلك الشيء ، كما تطلق هذه اللفظة على الأسوار الخلفية للمدينة^٩ .

ويقال للطابق الأعلى من البناء (علوهو) (علوه)^{١٠} ، و (علين) (عليان) ، لعلوه بالقياس إلى الطابق الذي تحته . أما الطابق الأسفل ، فيقال له (سفله) (سفلهو)^{١١} .

ويقال للبيت إذا كان فوق البيت (علية) والجمع (علالي) . وتقابل لفظة (علية) لفظة (غرفة) والجمع (غرف) و (غرفات) . والغرفة علية من

-
- ١ راجع الجملة الثانية من النص : Glaser 1089, 1660, Halevy 208.
 - ٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.
 - ٣ راجع أيضا الجملة الثالثة من نص ابنة .
 - ٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 38.
 - ٥ المصدر نفسه .
 - ٦ Müller, in DMG., 37, 383, Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.
 - ٧ CIH, 197, Glaser 181, Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.
 - ٨ Rhodokanakis, Stud., II, S. 64.
 - ٩ راجع النص الموسوم بـ : CIH 325, Rhodokanakis, Stud., II, S. 46 f.
 - ١٠ المورد نفسه .

البناء . وسميت منازل اللجنة (غراً)^١ .

ويعبر عن العمل الفني المتقن بلفظة (نكل) ، ومن هذا الأصل لفظة (نكلو)
و (نكلتو) في الأشورية^٢ .

وقد كان أصحاب الأبنية يذكرون المواد التي استخدموها في الأبنية بكل تفصيل
لا يكتفون بذكر أسماء المواد حسب ، بل يذكرون حتى صفاتها . فإذا كان الحجر
غير مهندس ولا مصقول ذكروه ، وإذا كان مصقولاً ومهندساً ومقطوعاً عبروا
عن ذلك بلفظة (تقرم)^٣ .

ويقال للحجارة الحادة أو الملساء (زلت) ، وهي تقابل لفظة (زلّة) في
لهجتنا^٤ وهي بمعنى أرض ذات حجارة ملساء أو حادة في اللهجتين المعنية والسبئية
كذلك ، وتعني لفظة (صلال) ألواحاً من الحجر في اللهجة الحضرية . وأما
الجمع فهو (ازلت)^٥ .

وتؤدي لفظة (زلت) معنى سيلان الزفت أو القار على أرض ما كأرض
غرفة مثلاً أو أرض شارع أو حمام لتبليط الأرض بهذه المواد . وذلك كما يفهم
من هذه الجملة : (زلت أوسطهس) أي (وزفت أو وقير الأواسط) ،
ويراد بالأواسط وسط الأشياء أو الشيء^٦ .

ويقال للحجارة المكسرة الناتجة عن تكسير الأحجار الأخرى أو عن القلع
(جريم) (جرب) . ويراد بها الحجارة المقطوعة أيضاً . وتوضع هذه
الحجارة في أماكنها على نحو ما قلعت من المقلع ، فلا تصقل ، ولا تسمها آلات
الصقل . أما الحجارة المقلوعة التي تصقلها الأيدي وتنقحها ، فتعرف ب (منهمتم)
(منهمة) . وتبنى هذه الحجارة مع الحجارة الأخرى ، وتوضع بينها مواد البناء
التي تلزم تلك الحجارة . والعادة هي أن توضع الحجارة المصقولة المعمولة المهندسة

١ البيان والتبيين (١٩/١) « لجنة » ، المفردات (ص ٣٦٥) .

٢ Rhodokanakis, Stud., I, S. 26.

٣ راجع الجملة الثانية من النص الموسوم ب : Glaser, 1089, 1660, Halevy 208.

٤ CIH, II, p. 23, Rhodokanakis, Stud., II, S. 35.

٥ راجع الجملة الثالثة من النص : Glaser 144, Halevy 353.

٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.

في جبهة الجدار لتكسبه منظراً جميلاً حسناً ، توضع وراءها الحجارة الأخرى المقطوعة ، وذلك لأن صقل جميع الحجارة التي تدخل في البناء يستنفد وقتاً كبيراً كما يكلف ثمناً باهظاً . ويضع المعمار الحجارة بالطبع وضعاً متناسباً بحيث لا تكون مرتفعة أو منخفضة وتتماً للفرج ومواضع اتصال الحجارة بمواد البناء التي تلزمه وتمسكه بين الحجارة^١ .

وقد توضع الحجارة لـ (جرب) على شكل طبقة واحدة في الجدار أو على هيئة طبقات وصفوف للزينة . ونجد هذه الطريقة في أبنية الحبشة كذلك^٢ .

ومن هذا الأصل جاءت لفظة (جربة) و (جروب) بمعنى المدرجات التي يضعها الفلاحون على الجبل ، وذلك لزرعها بأنواع المزروعات ، ولا سيما الكروم^٣ . وكذلك الأسوار التي تحيط بالبساتين .

وهناك من يرى أن (منهتم) من (منهمت) (منهمة) تعني على العكس الحجارة المقلوعة غير المصقولة . و (حجر منهوم) بمعنى مقطوع غير مصقول^٤ .

وهناك لفظة أخرى تطلق على الحجارة المنحوتة المهندسة باليد هي (تقرم) من أصل (تقرر)^٥ . وهناك نوع آخر من الحجر يقال له (بلق)^٦ . وقد ذكر علماء اللغة أن (البلق) الرخام وحجارة باليمن تضيء ما وراءها كالزجاج^٧ .

ويعبّر عن قطع الحجارة من الصخر وعن صقلها لجعلها صالحة للبناء ، بلفظة (ائح) في اللحيانية^٨ . وأرض اللحيانيين أرض صلبة صخرية ، لذلك استخرج اللحيانيون حجر أبنيتهم منها فبنوا بها بيوتهم ، كما نحتوا الصخور وجعلوها على هيئة كهوف لكي تكون ملاجئ لهم .

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43, SE 48, 92, Ryckmans 340, BASOR, Nu. 83, 1961, p. 24.

٤ Glaser Zwei Inschriften, 47, Rhodokanakis, Stud., II, S. 47. f.

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 54, 63.

٦ المصدر نفسه (ص ٦٤) .

٧ شرح القاموس (٢٩٨/٦) .

٨ النص ٧٢ من كتاب : W. Caskel, S. 110.

ويعبر عن تكسير الصخور وثقبها وعمل خرق بها بلفظة (جوب) ، وتعني (الجوب) . والجوب هو عمل نقب في الحجر ، أو ممر . وأما لفظة (جوب) فجمع (جوبة) ، ويراد بها الفراغ بين شيئين^١ .

ويُستعان بفؤوس ومطارق في تكسير الحجارة وهندستها واصلاحها لتتخذ الشكل المطلوب . فتستخدم المطارق الثقيلة في كسر الحجارة . وتكون ذات رؤوس مختلفة الأشكال تناسب المهمة التي تؤدي بها . وتستعمل الفؤوس في هندسة جوانب الحجارة وصلقلها ، وهي ذات أشكال مختلفة كذلك ، ، منها ذات رأس حاد نابت يتصل بقاعدة عريضة وتستخدم في نقر الحجارة ، ومنها ذات رأسين حادين عريضين ، ولها خصر في الوسط وتستخدم في شذب أطراف الحجارة وصلقلها . ولا تزال هذه المطارق والفؤوس مستعملة في مثل الأعمال التي قام بها الجاهليون . ويعبر عن تزيين الحائط وزخرفته بالحجارة أو بالأخشاب التي يوضع بين حجر الجدار وطابوقه بحيث تبرز للعيان وتوضع في أبعاد متناسقة ، يعبر عن ذلك بلفظة (موسم) . ومن هنا لفظة (وسم) التي تعني التزيين والتزويق أيضاً^٢ . فلفظة (موسم) تعني الزخرفة والنقش في البناء^٣ .

وأما الحجارة المصنوعة وما يقال له (طابوق) في العراق ، أي الحجارة المكوّنة من الطين المشوي ، فيقال لها (لبتم) (لبتم)^٤ . ويراد بها اللبّن كذلك أي الطين المجفف . وعادة مزج الحجارة المصنوعة أي الطابوق بالحجارة الطبيعية المقلوعة سواء أكانت مصقولة أم غير مصقولة هي عادة معروفة في البناء في الشرق^٥ .

وأما اللبّن ، أي الطين المجفف بالهواء وبأشعة الشمس والمصنوع بقوالب ولكنه لم يوضع في النار لإحراقه ، فيقال له : (لبّن) أيضاً . وقد ورد (لبّن شمس) أيضاً^٦ . ويطلق العراقيون لفظة لبنة على اللبّن ، وعلى الطابوق أي اللبّن المفخور بالنار .

Rhodokanakis, Stud., II, S. 26. ١

Rhodokanakis, Stud., II, S. 63. ٢

المصدر نفسه (ص ٦٤) . ٣

راجع النص الموسوم بـ : CIH 325, Sab. Denk., 31. ٤

Rhodokanakis, Stud., II, S. 43, 54. ٥

Hommel, Aufs. und abh., S. 167, anm. 5. راجع الجملة الخامسة من النص . ٦

وقد عثر المثقبون على لبن جاهلي في أماكن متعددة من جزيرة العرب . وقد كان أهل الحجاز يستعملونه في أبنيتهم ، لم ينفردوا بالطبع في ذلك وحدهم ، بل كان يفعل ذلك كل الجاهليين ، وقد بني مسجد الرسول باللبن . وكان الرسول ينقله مع الناقلين وهو مختلف الحجم . بعضه واسع ثخين ، وبعضه متوسط أو صغير . ويكثر استعماله في الأمكنة التي تقل فيها الحجارة ، وتتقلب على طبيعة أرضها التربة الطينية ، فيكون من السهل على أهلها إقامة أبنيتهم باللبن بارتفاعات مختلفة تبعاً لمناخ البناء ورغبة صاحب البناء في الارتفاع . وقد عثر على آثار قلاع وحصون وأسوار بنيت باللبن . ويمكن لمثل هذه الأبنية البقاء مدة طويلة ، لثخاف أجواء الشرق الأوسط وقلة الأمطار فيه ، ولا سيما إذا كانت ذات أسس وقواعد وجدر ثخينة وفي أماكن جافة بعيدة عن رطوبة الأرض .

أما الطابوق ، أي الآجر ، فيتكون من طبخ اللبن في الكورة أي الأتون ، أو بتكديس اللبن طبقات وصفوفاً ، ووضع الوقود بينها ، فإذا اشتعلت النار يضلد اللبن ويشوى فيكون آجراً . وطريقة صنع الآجر بإحراق اللبن في الأتون ، لا تزال شائعة معروفة في جزيرة العرب . وهي طريقة صنع الطابوق عند الفراعنة والسومريين والآشوريين والبابليين وغيرهم من الشعوب .

ولم يكن في استطاعة الفقير بناء بيته باللبن أو بالطابوق ، بل كان يشيد بيته بنفسه بالطين ، فيقيم جدره بالطين طبقة طبقة ، إذا جفت طبقة وضع فوقها طبقة أخرى ، وهكذا ، ويسقف بيته بالأغصان ، ويسعف النخل ، ويضع فوقها طبقة من الطين لتخفف عنه وهج الحرّ في أيام الصيف ، وتمنع عنه سقوط المطر عليه عند نزوله . أما الأعرابي فلم يكن له بيت دائم ، لا من الآجر ولا من اللبن ، بل كان بيته خيمة تنقل معه حيث يشاء ، يستظل بها وينام تحتها ، فهي بيته الحقيقي .

ويقوى الطين الذي يصنع منه اللبن أو تقام به جدر البيوت أو تفرش به سقف البيوت بالطين ، يخلط مقدار مناسب منه بالتراب ، ثم يعجن الخليط ويترك مدة حتى يجتم ، ثم يستعمل عندئذ ، فيكون أقوى وأدوم بقاءً من اللبن أو الطوف المصنوعين من التراب الصرف . وهذه الطريقة معروفة أيضاً عند العراقيين والمصريين وعند غيرهم من الشعوب في العهود القديمة ولا تزال مستعملة عند

حَقَّقْتَهُمْ . ويعرف التبن ب (تبن teben) عند العبرانيين^١ .
وتطين جدر البيوت الفقيرة والريفية بالطين ، وذلك لتكون مُلَسَّماً خالية من
الثقوب . ويستعمل الطيَّانون آلة تسمى المسجة . ويذكر علماء اللغة أنها يمانية ،
وأنها خشبة يطين بها ، وهي المألجة بالفارسية . ويعبر عن تطيين الحائط بلفظة
وسج ، وذلك اذا مسح الحائط بالطين الرقيق . وقد ذكر علماء اللغة أن السجة
والسجة صهان^٢ .

ويقال للحجارة المربعة ، سواء أكانت مقلوعة أم مصنوعة ، (ربعت) (ربعة)
(ربعة) أي (مربعة)^٣ . وهي تدخل في البناء إما مستقلة ، وإما مع أنواع
أخرى من الطابوق والحجارة . وقد توضع على مسافات وأبعاد متناسبة ومتناسقة ،
لتكون نوعاً من أنواع الزخرف في الجدر . وقد ذكر (الحمداني) في صدد ذلك
هذه الجملة : « المكعب وذلك بكعاب خارجة في معارب حجارتة على هيئة الدروق
الصغار »^٤ . وهذا النوع من الزخرفة معروف في اليمن . أما في الحبشة ، فقد
كانوا يضعون حجارة منحوتة على هيئة رؤوس قردة للزينة^٥ .

ويعبر عن إدخال الحجارة بين حجارة أخرى للزينة أو الزخرفة أو ملء الفراغ
بين جبهي جدار بحجارة صغيرة لسد الفراغات (ولج) . أما (مولجم) (مولج) ،
فتعني الموضع الذي وضعت تلك الحجارة فيه^٦ . والابلاج هو إدخال شيء في شيء .
وأما الحفر على الحجر أو الجدار ، بقصد التزيين والزخرفة ، فيعبر عنه بلفظة
(فتخ) ، وتقابل بلفظة (بتاخو Patahu) . والحفر والنقش العميق على الحجارة
والطابوق من مذاهب التزيين المتبعة في الشرق حتى الآن . وقد ذهب (رودوكتناكس)
إلى أنها تعني معنى (ولج) كذلك ، أي إدخال الحجارة المحفورة والمنقوشة
والمنحوتة بين حجارة جدار ما مثلاً للتزيين والتزييق^٧ .

Smith, Vol., III, p. 1386. ١

شرح القاموس (٥٦/٢) . ٢

CIH 325. ٣

الإكليل (٨٠) « طبعة Müller » ٤

Rhodokanakis, Stud., II, S. 44. ٥

Rhodokanakis, Stud., II, S. 43. ٦

Rhodokanakis, Stud., II, S. 43. ٧

وتؤدي لفظة : (فلزتم) (فلزت) (فلزة) ، معنى : أبعاد وطريق جانبي واخلاء وحفر ونقب . وقد أريد بها عمل ثقب في جدار في بعض الكتابات^١ . وكان من عادة أهل اليمن صهر الرصاص وصبه بين حجارة الأعمدة وفي أسسها ، وذلك لربطها وتقويتها ، ويقال لذلك : (صهرم)^٢ من (صهر) ، التي تعني جعل الرصاص مائعا يصب في المكان المراد تقويته أو تثبيته ، أو لأي غرض آخر من هذا الصهر . وقد استعملوا الرصاص المصهور في سدّ (مأرب) كذلك ، استعملوه مادة ماسكة تمسك بعض الصخور التي تؤلف الجدر الأمامية وفي مواضع أخرى منه^٣ .

وقد استعمل المهندسون العرب الجنوبيون (القيطران) القار في البناء . استعملوه خاصة في الأماكن الرطبة والتي تسيل عليها المياه وفي الأسس لمنع الرطوبة ، كما استخدموه في رصف الشوارع ورصف قيعان السدود . فقد وجدت آثار قيعان بعض السدود وهي مرصوفة ومكسوة بطبقة من القطران .

وفي معنى (قطر) ترد لفظة (قتر) ، و (قتر) أيضاً . و (القطار) بمعنى الدخان . ومن هذا المعنى جاءت جملة : (قتر اللحم) أي شوي وظهرت رائحته . وفي معنى (قطر) لفظة (هيج) أيضاً . ومعناها (سال) و (ماع) . ولهذا استعملت في النصوص ذات الصبغة الدينية في القرابين حيث تسيل دماؤها ، وفي الري لسيلان الماء ، وفي صهر المعادن^٤ .

وفسر بعض الباحثين لفظة (هيج) ، بمعنى بنى ، أي أنشأ بناءً ، وفي مقابل لفظة (برا) في المسند^٥ .

واستعملت مواد دهنية مستخرجة من زيوت بعض الأشجار في منع الرطوبة أو الماء من التسرب الى الأسس والجدر والسقوف .

والخشب هو (عض)^٦ في العريبات الجنوبية . وقد استعمله العرب الجنوبيون

Rhodokanakis, Stud., II, S. 47. ١

Rhodokanakis, Stud., II, S. 48. ٢

Wissmann-Hofner, S. 25. ٣

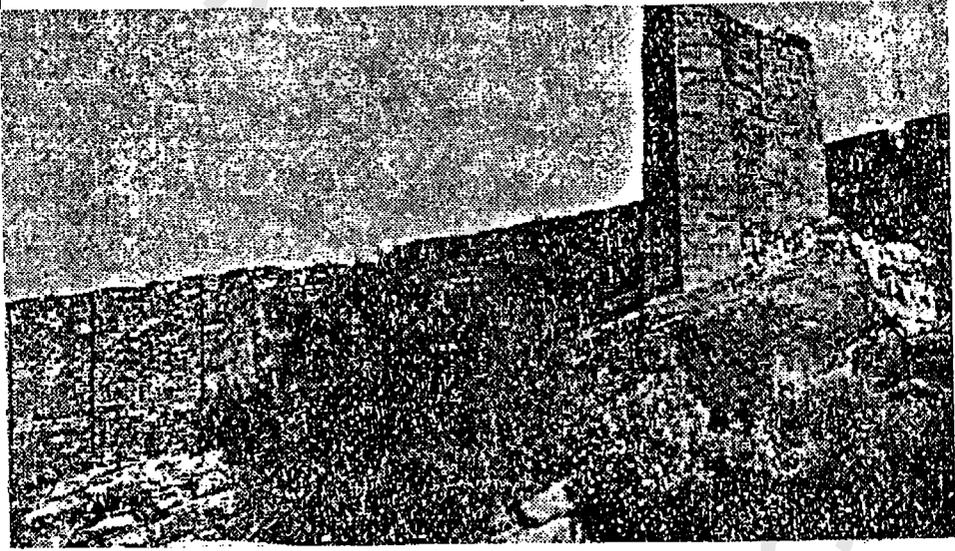
Rhodokanakis, Stud., II, S. 168. شرح القاموس (٤٧٩/٣) ، ٤

Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 427, 433. ٥

Rhodokanakis, Stud., II, S. 26. ٦

في تسقيف بيوتهم ، ولعمل الأبواب ، كما أدخلوها في البناء كذلك لتقويته .
 أما لفظه (عضن) (العض) ، فقد ذهب (رودوكناكس) الى أن المراد بها
 نوع خاص من الخشب ، نوع ذو رائحة زكية ، يستعمل خاصة للحرق في
 مذابح المعابد .

ويلاحظ من فحص بقايا بعض الأبنية القديمة من عهد ما قبل الاسلام أنها
 خالية من المواد الماسكة التي توضع عادة بين الحجر لتثبيت بعضها على بعض . ومعنى
 هذا أن المهندسين المعماريين كانوا قد وضعوا هذه الحجارة بعضها فوق بعض على
 نحو يجعلها كأنها متداخلة بعضها في بعض فتثبت مدة طويلة وتتماسك وتصبح وكأنها
 قد لصق بعضها ببعض بمادة من المواد المستعملة في العادة في تثبيت الحجارة مثل
 الجص أو الكلس أو الطين ، ويسمى بـ (الخلب) عند أهل اليمن اليوم .



من بقايا سد مأرب

من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢١)

والحجارة التي أقصدها هي صخور اقتطعت من الجبال ، وأكثرها هي صخور
 كبيرة وهي بعد أن تسوى وتشدب وتهذب يوضع بعضها فوق بعض بحيث تثبت

- ١ المصدر نفسه (ص ٣٩) .
- ٢ المعظم (ص ١٣٣) .

بعامل الثقل وبهذه الطريقة تقام الجُدُر، ويجري ذلك في المباني الضخمة الكبيرة التي تستعمل فيها الصخور . وأما أوجه الجدر من الداخل فقد تملج بمادة كالجص لتجعلها مُلساً ناعمة ، وبذلك تسد الفرج بين محال اتصال الصخور .

واستعملت في مباني أخرى المواد البنائية التي توضع بين الآجر والصخور الصغيرة والحجارة لتثبيتها ولضمان تماسكها . ومن هذه المواد الجص والطين والكلس ، وقد تكحل القواصل التي بين الأحجار بالكلس وبالجص لسدّ الفرج بينها وللزينة أيضاً . وأما الجدر الداخلية فتكسى بطبقة لتجعلها جميلة مُلساً على نحو ما يفعله أهل اليمن وما يفعله غيرهم في الزمن الحاضر . وقد وجدت البعثات الأثرية التي نقت في العرية الجنوبية بقايا جدران بيوت ، وقد كسيت بطبقة ملساء من الجص ، تدل على مهارة البناء في ذلك الوقت . وقد تزخرف المواضع البارزة من الجدار بزخرف يصنع بقوالب خاصة توضع عليها المادة اللينة التي يراد زخرفتها ، فإذا جفت رفع القالب عنها ، فتظهر بارزة بالحفر التي تكون حولها .

وتكسى الجدر الخارجية للبناء بالجص والكلس في بعض الأحيان . فإذا كسيت بالجص ، ظهرت أيضاً ترى من مسافات بعيدة ، جاء في شعر لعدي بن زيد :

شاده مرمرآ وجلاله كِلْساً فلطير في ذراه وكورا^١

وقد ورد أن الجص لغة ، والعرب تسميه القصة^٢ .

ولم يكتب المتفنن العربي الجنوبي بإقامة الأبنية حسب ، بل استخدم الحجارة للتعبير عن شعوره وعن خواطره ، ينحتها على الصخور ويثبها على ألواح الحجر . وإذا كان العربي الصحراوي قد عبر عن شعوره وعن خواطره بالشعر ينظمه أحياناً أو مقاطع أو قصائد ، يسر نفسه بها ، ويسر الآخرين ، فقد عبر العربي الجنوبي عن مشاعره وخواطره بنوع آخر من الشعر ، هو الشعر المادي المتمثل في البناء وفي النحت والتصوير بالإضافة إلى الشعر المعروف الذي لم يترك لنا أثراً مكتوباً منه ويا للأسف .

١ الكامل (٥٩/١) .

٢ شمس العلوم (- ١ ق ٢ ص ٢٧٩) .

والعربي الجنوبي متفنن بطبعه مذاق ، لم يكتفِ بهندسة الحجارة وصلقلها وتزيينها ، بل اهتم بالألوان كذلك وبالمظاهر الخارجية للبناء . فاتخذ الحجارة الملونة للبناء ، وكون منها مناظر متعددة الألوان ، محاكاةً للطبيعة ، وتأثيراً على النظر . وبنى جدران قصر غمدان من حجارة ذات ألوان مختلفة ، فبنى سافاً بالحجارة البيضاء ، وبنى سافاً آخر بحجارة سود ، وبنى سافاً ثالثاً بحجر أحمر ، وسافاً آخر بحجر أخضر وهكدا ، وذلك إمعاناً في التفنن وفي التزيين ولا شك . وكسا السقوف والأبواب والأعمدة وبعض الجدران بصفائح الذهب والفضة وبالحجارة الكريمة وبسن العاج والأخشاب الغالية الثمينة، فأكسب البناء روعة وجمالاً وخشوعاً . ونجد ذلك في المعابد وفي القصور^٢ .

واستعمل المعمار العربي الجنوبي الرخام لإكساء أوجه الجدران أو في فرش أرض الغرف والمعابد ليكسبها بهجة وجمالاً ، واستعمله ألواحاً رقيقة تزخرف بالصور والنقوش ، لتعبر عن مباحج الحياة ، كما استعمل ألواحاً رقيقة شفافة منه لتكون مكان الزجاج المستعمل في النوافذ في وقتنا الحاضر . ولا يزال أهل اليمن يستعملون الرخام المرقق في نوافذهم ، توارثوا ذلك عن آباؤهم وأجدادهم ، وهو يعطي النافذة رونقاً وجمالاً لا يتوافران في الزجاج .

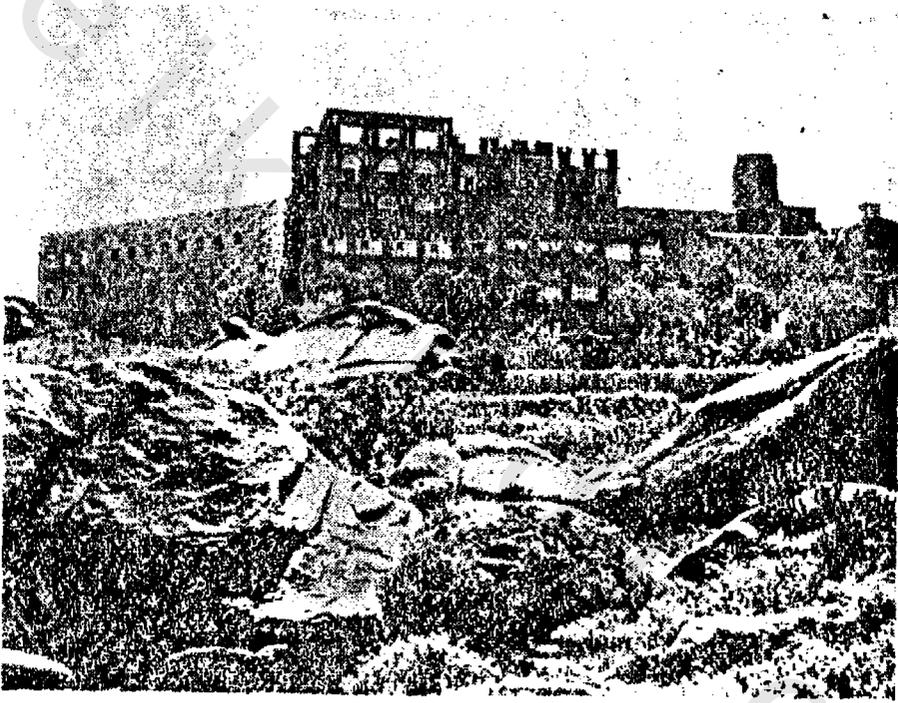
وتكون النوافذ والشبابيك في جدار الغرفة المطل على صحن الدار . أما الجدر المقامة على الطرقات والأزقة ، فتكون خالية منها وذلك لثلا ينفذ منها للصومس أو الأعداء الى الدار ، وليمنع المارة من التطلع الى داخل الغرف والبيوت . أما البيوت المرتفعة المكونة من طابقين فأكثر، فقد حليت بالنوافذ ، ومن هذه النوافذ ما كان يصنع من الخشب ومنها ما كان يصنع من الحجارة ، ولا سيما الرخام . وجعل العربي الجنوبي الطوابق العليا مواضع للدفاع عند الحاجة ، ولا سيما في الأماكن المنغزلة النائية ، وجعل لمزارعه مواضع مرتفعة مبنية أو من الأخشاب أو على الأشجار لمراقبة من يحاول السرقة وسلب الفلاح ثمار أتعابه .

والنافذة ضرورية جداً بالنسبة للأبنية العالية التي عرفت بها العربية الجنوبية ،

D.H. Müller, Burgen und Schlösser, I, S. 348. ١

Strabo, X, 778, Hand. der altar, altir., I, S. 146. ٢

وذلك للدفاع بواسطتها عن البيوت ولدخول النور والهواء اليها ، وقد صنعت من لوح مرقق من الرخام ، عملت فيه ثقوب ، لدخول الهواء منها . وتعمل الألواح المصنوعة من الرخام ألواحاً رقيقة جداً ، وقد تكون شفافة كالزجاج ، لتسير الغرف . ولا تزال نوافذ بيوت العربية الجنوبية محافظة على طرازها القديم . وقد استخدمت بعض النوافذ الجاهلية في البناء . وقد صنعوا النوافذ من الخشب أيضاً ، زخرفوها بزخارف جميلة وأحاطوها بأحجار أو بمرمر لتمسكها ولتعطيها منظرًا جميلاً .



قصر الامام احمد بمدينة « تعز » ، وترى نوافذه وهي ذات طابع يمني قديم
من كتاب : Gunther Pawelke, Jemen. (ص ٥٧)

ويعبر في اللحيانية بلفظة (بت) ، أي (بيت) عن معنيين ، عن معنى (بيت) ، أي موضع سكن ، وعن معنى معبد . وذلك كما في هذه الجملة : « بنو بت هصن لذ غبت »^١ ومعناها : « بنوا بيت هصن لذي غابسة » ،

١ النص رقم ٢٦ من كتاب : W. Caskel, S. 88.

و (ذو غابة) هو إله اللحيانيين ، أو بتعبير آخر : (بنوا معبد هصن للإله ذي غابة) .

ويعبر عن البناء والبناية بلفظة (مبنى) في لغة سبأ^١ . وهي من أصل (بنا) (بنى) .

وقد ذكر علماء اللغة أسماء الدور بحسب نوع بنائها من حيث المادة أو المساحة أو الارتفاع وغير ذلك . ويقال للدار المنزل كذلك والدارة والمنزلة والمبأة والمعان والوطن والمعنى والمثوى والمربع^٢ . والصرح هو كل بناء مرتفع . وأما الأطم والأجم فالحصن .

والدار المسكن والبيت، وترد اللفظة في النصوص اللحيانية ، قال (ابن الكلبي) : « بيوت العرب ستة : قبة من آدم ، ومظلة من شعر ، وخباء من صوف ، وبجاد من وبر ، وخيمة من شجر ، وقنة من حجر ، وسوط من شعر ، وهو أصغرها » . وقال البغدادي : الخباء بيت يعمل من وبر أو صوف ، أو شعر ، ويكون على عمود أو ثلاثة ، والبيت يكون على ستة أعمدة الى تسعة . والخيمة في عرف العرب : كل بيت من بيوت الأعراب مستدير ، أو ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر ، أو أعواد تنصب وتجعل لها عوارض وتغلل بالشجر فتكون أبرد من الأخيية . أو عيدان تبنى عليها الخيام ، أو مسا يبنى من الشجر والسعف يستظل به الرجل إذا أورد إبله الماء . والخيمة عند العرب البيت والمنزل وسميت خيمة^٣ لأن صاحبها يتخذها كالمنزل الأصلي . وورد أن الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ، ثم تسقف بالثمام ولا تكون من ثياب ، وأما المظلة ، فن الثياب وغيرها^٤ .

و (القبة) من البناء ومن آدم . وقيل : القبة من الخباء بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب^٥ . و (المظلة) : الكبير من الأخيية ، قيل : لا تكون إلا من الثياب ، وهي كبيرة ذات رواق ، وربما كانت شقة وشقتين وثلاثاً ،

Jamme, South Arabian. Incriptions, p. 439.

١ بلوغ الارب (٣/٢٨٩ وما بعدها)
٢ تاج العروس (١/٥٢٩) ، (بيت)
٣ تاج العروس (٨/٢٨٥) ، (خيم)
٤ تاج العروس (١/٤١٩) ، (قيب)

وربما كان لها كفاء ، وهو مؤخرها . قال بعض العلماء لا تكون المظلة إلا من الشعر خاصة . إلى غير ذلك من آراء^١ . والخباء : ما يعمل من صوف أو وبر ، وقد يكون من شعر ، وقد يكون على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك ، فهو بيت^٢ .

ويظهر من تضارب آراء العلماء في تعريف الأسماء المذكورة ، أنهم أخذوا معانيها من موارد مختلفة من رعاة ومن شبه حضر ومن أعراب ، ومن جهات مختلفة ، فكان كل مورد يفسر الشيء تفسيراً يختلف عنه عند مورد آخر ، فتضاربت من ثم تلك الآراء .

ويقال لصحن الدار: حُرّ الدار وقاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها ومجوحاتها. وفي الدار البيت . والمخدع ، وهو البيت في البيت ، والنفق والسرب ، فالبيت تحت البيت ويتألف البيت من غرف . والغرفة في أعلى هي (العلية) والجمع علالي. والخزانة هي التي يحفظ فيها الشيء . والمرقد ، هو المضجع^٣ .

وما يحيط بالبناء هو الحائط والجدار . والأُس هو أصل الحائط . والرصاص ، هو البناء من الطين الموطوء ، ينضد بعضه فوق بعض ، ويقال للنضدة الواحدة دمص ، أما النضدة السفلى، فيقال لها رهص^٤ . والنخط الواحد من الحائط ساف ، ويقال للصف الواحد من اللبن أيضاً ساف^٥ . وإذا أقيم الآجر بعضه فوق بعض ، فهو السميطة^٦ . ويقال للحائط حين يبلغ العقد أو الثقيف أو التقيب ، ارتفع الحائط . ويقال للعقد : عقد الأزج ولبيت مغمى إذا سقف بالخشب ، وبيت مقيب إذا كان ذا قباب . أما إذا كان على هيئة السنام ، فيقال له بيت مسم . والبرزخ الفرجة بين الأزجَيْن في صهوة البيت ، والمهدف ترس الأزج .

وتقوى الجدر بالأوتاد ، وذلك برز الوتد في الحائط عند البناء ، وقد عثر

- ١ تاج العروس (٤٢٧/٧) ، (ظلل) .
- ٢ تاج العروس (٦٠/١) ، (خبأ) .
- ٣ بلوغ الأرب (٣٨٩/٣) .
- ٤ « والدمص بالكسر : كل عرق من الحائط خلا العرق الاسفل فانه رهص » شرح القاموس (٣٩٦/٤) ، بلوغ الأرب (٣٩٠/٣) .
- ٥ شرح القاموس (١٤٧/٦) .
- ٦ شرح القاموس (١٦١/٥) .

على أوتاد من الخشب مرزوزة في بقايا أبنية السبثيين والمعينيين وغيرهم لتقوية الجدر ، أو لاستعمالها لأغراض أخرى ، مثل تعليق أشياء عليها، أو استعمالها بمثابة السلم للتسلق إلى أعلى .

وفي الدار الصُّفَّةُ ، وتسمى بحسب الجهة المتجهة إليها . ويقال صفة فراتية إذا كانت الشمس لا تقع فيها رأساً . و (المقنوعة) مكان ظلّه دائم ويكون بارد الهواء . والزواية ملتقى الحائطين في البيت . والكوة الثقب في أعالي البيت . ويقال لها الشاروق . والمشكاة التي في الحائط . ويقال لها الأوقة ويقال بيت مأوقاً^١ .

ويقال للسطح الإجار والصفوة . وسقف البيت أعلاه الداخل . وأما سمكه ، فما كان بين قراره الى سقفه . والطاية السطح . والدرج المرتقى الى السطح إن كان من خشب دعي ب (سلم) . وكل مرقة عتبة . والفرغ الخلاء بين المرقأتين . والعلارة هي أعلى الحائط الذي لا يغمى . والتفاريح والطنف آجر أو نحوه يجتخ به أعلى الحائط ليقبه المطر أن يسيل عليه . وهو الكثة والافرير . والهرادة من الخشب لأعالي الحيطان ، والنجيرة سقيفة بخشب لا يخالطها غيره^٢ .

ويسقف البيت بالخشب ، يوضع عليه عَرْضاً ، ويسمى (العراض) ، ثم تلقى عليه أطراف الخشب الصغار^٣ . وقد يطين ، أو يجصص ، أو يبنى فوقه ليمنع المطر من السقوط من خلال الخشب على البيت ، وحرّ أشعة الشمس من النفاذ اليه .

وكانت بيوت أزواج النبي من اللبن ، ولها حجر من جريد مطرورة بالطين ، وعلى أبوابها مسوح الشعر^٤ . وهذه كانت صفة معظم بيوت أهل يثرب والمدينة ، ما عدا بيوت الأثرياء ، فقد كانت من حجر وكلس ولها كل وسائل الترفيسه والراحة المتوفرة بالقياس الى ذلك الزمان .
واللبن جمع لبنة . وأما الذي يعمل اللبن ، فهو اللبان . والملمن الآلة التي

-
- ١ بلوغ الارب (٣/٣٩٠) .
 - ٢ بلوغ الارب (٣/٣٩١) .
 - ٣ البرقوقي (ص ١٣٧) .
 - ٤ طبقات ابن سعد (١/٤٩٩ وما بعدها) .

يضرب بها . والسابل ، الأداة التي ينقل عليها . والسميقان والأسمقة خشبات يدخلن في السابل . والطوب هو الآجر ، والطباخ هو الذي يطبخ أتونه ، والأطيمة : أتون الجرار والقصاع وأمثالهما . والبلاط : الحجارة تفرش بها الأرض . ويقال أرض مبلطة ، إذا فرشت بالبلاط^١ .

وقد عرف بعض علماء اللغة اللين بأنه المضروب من الطين مربعاً للبناء^٢ ، وتقابل لفظة (البينة) كلمة Libbatu في الآشورية ، و (لبتو) و (لبتو) في الإرامية^٣ .

والطيبان ، الذي يعمل الطين ، ويطين الحائط أو السطح ، ويشغل بالطين . والملاط ما رق من الطين . ونحوه السباع . ويقال للالج الذي يمسح به وجه الحائط المسجّة والمسيعة . وأما الخيط الذي يقدر به البناء ، فيقال له (المطحر) . والشيد والنشص الجص . والجصاصة موضع الجص . والملاحة مجمد الملح . والجيسار والكلس الصاروج . والصاروج النورة وأخلاطها . والثلاجة مكبس الثلج^٤ .

وتوضع في سطوح الدور ميازيب لتسيل منها مياه الأمطار إلى أسفل ، وتعرف ب (المثاعب) ، وواحدھا (مشعب) ، ويكون من خشب وغيره . ويسيل الماء إلى (البالوعة) ويقال لها (البلوعة) كذلك^٥ . ولفظة (مئزاب) و (مرزاب) من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، ولكنها من الألفاظ القديمة الداخلة إلى العربية^٦ . وموضع الطبخ في الدار هو المطبخ . وأما المعخير فهو موضع التنور . ويقال للتنور الوطيس والهيلم والميسعر كذلك . والكرامة طبق التنور ، والمناقاة حجره . وأما الساعور ، فتنور صغير في الأرض^٧ .

١ بلوغ الارب (٣٩١/٣) .

٢ شرح القاموس (٣٢٨/٩) .

٣ برصوم (ص ٢٦٩) .

٤ بلوغ الارب (٣٩١/٣) .

٥ بلوغ الارب (٣٩١/٣) وما بعدها) .

٦ المغرب (ص ٣٢٦) ، المغرب (ص ١٤) ، شرح القاموس (٣٦٩/٣) .

٧ بلوغ الارب (٣٩٢/٣) .

والسور هو حائط الحصن والمدن . وأما الربض ، فحائط حول السور . والشرف هو ما أشرف فوق الحائط ، ويتشرف الناس من ورائه^١ . ويعبر عن (السور) بـ (حل) Hel في العبرانية ، أي (حائل) ، وهو الحائط الذي يحيط بالمدينة^٢ . وتطلق لفظة (حال) و (حويل) على الحائط ، وعلى الحدّ الذي يفصل بين ملكين ، لأنه حائل يحول بين الأملاك وبين الأشياء ، فلا تختلط ويمتزج بعضها ببعض^٣ .

١ بلوغ الارب (٣/٣٩٢ وما بعدها) .

٢ Roland de Vaux, Ancient Israel, London, 1961, p. 233.

٣ تاج العروس (٧/٢٩٥) ، ، Rhodokanakis, Stud., II, S., 31.

الفصل السابع عشر بعد المئة

القصور والمحافد والإطام

وقد أورد علماء اللغة العربية ، جملة ألفاظ لها صلة بالمباني الضخمة وبالمباني العالية . منها : (قصر) والجمع (قصور) ، و (محفد) والجمع (محافد) و (أطم) ، و (مجدل) ، و (حصن) و (برج) وغير ذلك من ألفاظ لبعض منها صلة بالناحية الحربية ، لذلك أترك أمرها إلى ذلك الباب ، وسأقتصر هنا على الكلام على المباني الأخرى التي تخص الحياة الاجتماعية في الأكثر .

والقصر البيت الكبير الفاخر ، وتقابل لفظه (قصر) كلمة (قصرو) في لغة بني إرم^١ . وقد أطلقها علماء اللغة على البيوت الكبيرة لأهل الجاهلية في اليمن ، فقالوا : (قصور اليمن) . واشتهر من بينها (قصر غمدان) و (قصر سلحين) ، وقد أطلقها عرب العراق على حصونهم التي كانوا يتحصنون بها عند دنو خطر عليهم ، فكانت الحيرة مكونة من (قصور) ، أقامها أشراقها ، واتخذوها بيوتاً لهم ، وحماية لأموالهم ، وملجأ يلجأ إليه أتباعهم عند دنو الخطر ، للدفاع عن سادتهم وعن أموالهم ، يصعدون إلى أعلى القصر ، فيرمون المهاجم بالحجارة والخزف والسهام والنار ، ويصبون عليه الماء الحار . ولما هاجمها (خالد بن الوليد) ، أخذ يحاصرها قصرأ قصرأ ، ويفتحها ، وبذلك سقطت المدينة، المؤلفة

١ غرائب اللغة (٢٠١) .

من هذه القصور . ولا تزال اللفظة معروفة في العراق ، فيعرف حصن (الأخضر) المشرف في البادية بـ (قصر الأخضر) ، ويطلق على بعض قرى عين التمر القصور ، لأنها كناية عن بيوت تحمي بـ (قصر) في الأصل^١ .

وتخزن في غرف الطابق الأرضي من القصر الميرة ، وما يحتاج إليه ، وكذلك المشية ، أما الطابق الثاني ، أو ما بعده ، فيتخذ مسكناً ، لأهل القصر ، وقد تعمل به منافذ صغيرة ، ليرمي منها المدافعون المهاجمين بالسهم وبالحجارة ، لمنع من الدنو من القصر ، ويدافع عنه من السطح كذلك .

والمحفد من الألفاظ الواردة في كتب اللغة ، وجمعها (محفد) . وتعني في العربية الجنوبية القلعة والحصن ، أي المكان الحصين المنيع الذي يتحصن فيه الجنود للدفاع^٢ . وتعرف بـ (محفدن) في العربية الجنوبية ، أي (المحفد) .

وترد لفظة (صحفت) مع (محفد) . وأما (صحفت) ، فقد فسرت بمعنى المجاز أو الطريق أو المر أو الخندق . وهي في معنى لفظة (ضخف) التي تعني الحفر ، ومنها (مضخفة) التي تعني المسحاة^٣ . ويكون الخندق حول المحفد ، يحميه من غارات الأعداء ، فيحول بينهم والوصول إلى سوره . وتؤدي لفظة (صحفت) معنى ممر في داخل الحصن يربط بين السور وداخل الحصن^٤ .

والمجدل ، هو القصر المشرف^٥ . فهو نوع من أنواع الأبنية الضخمة . وهو الحصن في داخل المدن عند العبرانيين ، ويقابل لفظة Castellum في اللاتينية^٦ . وقد وردت لفظة (مجدل) و (مجدال) أي في صيغة الجمع في النصوص اللحيانية بمعنى البرج والحصن^٧ .

وأما الأطم فالحصن والجمع آطام . وهي القصور والحصون . وقال (الأصمعي)

١ راجع الجزء الثالث من تاريخ الطبري ، في فتوح العراق ، وكذلك فتوح البلدان للبلاذري .

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S., 61.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S., 61.

٤ المصدر نفسه .

٥ شمس العلوم (١٠ ق ٢ ص ٣٠٦) .

٦ Roland de Vaux, Ancient Israel, London, 1961, p. 235.

٧ راجع النص ٢٦ في كتاب : W. Caskel, S. 88.

الآطام الدور المسطحة السقوف ، موشاة أي منقوشة^١ . وهي معروفة عند أهل (المدينة) . وقد تحارب الأوس والخزرج عندها ، فأرخوا بهذا اليوم . وكانت الأوس والخزرج تتمنع بها ، فأخربت في أيام (عثمان)^٢ .

وتقوى الحصون بسكك الحديد أحياناً ، وبكل وسائل التقوية والإسناد، لتتمكن من الصمود أمام العدو ، ومن تحمل ضربات الآلات التي تستخدم للهدم . ويعبر عن التقوية هذه بلفظة (سكم) ، أي (سك)^٣ .

وقد فسر بعض علماء العرييات الجنوبية لفظة (صرحت) (صرحة) (صرحس) التي ترد في كثير من الكتابات المتعلقة بأعمال البناء ، بالطبقة الثانية من البناء أو أعلى كل بناء^٤ . وفي كتب اللغة : (الصرح : بيت واحد يبني منفرداً ضخماً طويلاً في السماء) ، وقيل (القصر) أو كل بناء عالٍ مرتفع . وفي التنزيل : إنه صرح ممرود من قوارير ، والجمع صروح . وقال بعض المفسرين : الصرح بلاط اتخذ لبلقيس من قوارير^٥ .

وترد لفظة (صرحت) بهذا الشكل في بعض الكتابات ، كما ترد بغير تاء ، أي (صرح) . وقد وردت على هذه الصورة : (صرحس) في بعض الكتابات المعينية ، كما وردت على هذا الشكل : (صرحسن) أي (الصرح) .

والغالب بين علماء اللغة أن الصرح البيت العالي ، وقد قيّد بعضهم ذلك بالبيت العالي المزوق^٦ . وحيث أن البيوت المرتفعة العالية هي في اليمن وفي مواضع من العربية الجنوبية الأخرى في الغالب ، ونظراً لورود اللفظة في كتابات العرب الجنوبيين، فإننا نستطيع أن نقول باحتمال أخذ الحجازيين لفظة (الصرح) و (صرح) من العرب الجنوبيين .

١ الاغانى (١٤/١) ، « طبعة ساسي » ، شمس العلوم (١٠ ق ١ ص ٨٥) .

٢ التنبيه والاشراف (ص ١٧٦) .

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.

٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 32, f., Glaser 1089, 1660, Halevy 203, Glaser 1144, Halevy 353, Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 446.

٥ شرح القاموس (١٧٩/٢) . «الصرح : بيت عالٍ مزوق» ، المفردات (٢٨٠) .

٦ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ٢٨٠) .

الأعمدة والاسطوانات :

ومن الرخام أقيمت أعمدة جميلة كسيت تيجانها بالنقوش وبالزخرف الأخاذ . وقد تمكن المعمارون من وضع الصخور بعضها فوق بعض وضعاً فنياً في غاية الدقة جعلتها تظهر وكأنها قطعة واحدة . فقد صقلوا الصخور صقلاً تاماً بدقة وعناية ، وجعلوا نهايتها متطابقة تماماً . فإذا جلست بعضها فوق بعض ، انطبقت على بعضها ، وبدت وكأنها قطعة واحدة يصعب التمييز بين مواضع انطباقها . وقد تقرأ أحياناً في أواسط الرخام نُقراً عميقة ، نُبتتوا في داخلها أوتاداً من الرصاص أو الحديد ، لتربط بين قطع الرخام ، ولتكون لها سنداً وقوة ، فلا تسقط . وقد وجدت مثل هذه الأوتاد بين الصخور المكونة لسد مأرب^١ ، وكذلك في قصر (غمدان)^٢ .

وأقيمت الأعمدة على قواعد تحمل الصخور الثقيلة المؤلفة منها تربط بينها أوتاد مربعة في الغالب ، وتكون القواعد أكبر حجماً من العمود ليستقر ثقل الأعمدة عليها ، ولتكون أثبت على سطح الأرض . وتقوى هذه القواعد بصب الرصاص عليها . وقد وجد ان المماري العربي الجنوبي تعتمد في جعل الجدران المرتفعة ميالة إلى الجدار الداخلي كلما ارتفع البناء ، بمعنى انه يجعل الجدران الخارجية أقرب إلى واجهة الجدران الداخلية في أعالي البناء من القواعد ، فتكون المسافة عندئذ بين الجدارين عند السقف أقرب وأقصر منها عند القاعدة^٣ . ويظهر انه تعتمد ذلك لأغراض هندسية واقتصادية ، تستدعيها المحافظة على الحجارة من عبث الطبيعة بها وتقوية لها ، وتخفيفاً عنها ، واقتصاداً في مواد البناء .

وأقيمت بعض الأعمدة على أرض البناء رأساً من دون قاعدة بارزة يرتكز عليها بمعنى ان المعمار لم يجعل قاعدة العمود أوسع وأعرض من هيكل المجموع ، فيظهر العمود وكأنه قد نبت من الأرض .

وقد عثر المتقنون على أنواع متعددة من الأعمدة ، تيجان بعضها مربعة أو

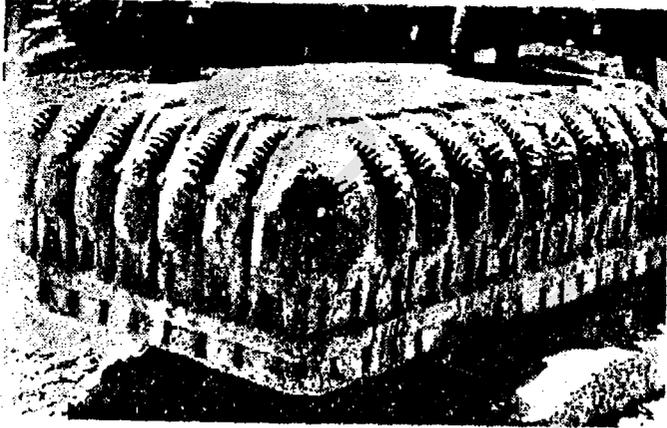
١ Glaser, Reise, S. 60, Hand. der Alt., I, S. 146.

٢ D.H. Müller, Burgen und schlösser, I, S. 345.

٣ Hand-der altar. alter., I, S. 146.

ذات زوايا مستقيمة . منها ما هو بسيط بدون زخرفة ولا نقوش ، ومنها ما هو مزخرف أو عليه بعض النقوش أو بعض الحروف أو الكتابات . ومن جملة الزخرف الذي زين تيجان الأعمدة زخرف يمثل زهرة الزنبق وأنواعاً أخرى من الزهور^١ .

وتمثل الأعمدة المربعة الشكل أو المستطيلة والحالية من الزخرف أقدم أنواع الأعمدة بالنسبة للفن المماري العربي الجنوبي . ونجد نماذج منها في خرائب معبد (قرنو) عاصمة معين . وفي (صرواح) (الخريبة) وفي (مأرب) (حرم بلقيس) (محرم بلقيس)^٢ وقد اقتطع المعمار هذه الأعمدة من الصخور ، كتلاً كتلاً ، ثم أمر بصقلها وتشذيبها حتى حوتها الى قطع أكسبها شكلاً هندسياً ، قواعدها مربعة أو مستطيلة ، وضعها بعضها فوق بعض الى الارتفاع المقصود ، مكوناً منها اسطوانة تحمل البناء .



ونرى في هذه الصورة تاج أحد الأعمدة، وقد زخرف بحيث ظهر وكأنه كتلة من رؤوس خرفان أو حيوانات لها قرنان كالوعل وقد أبدع الفنان في حفره حتى ظهر الحجر، كأنه مجموعة حيوانات وقفت بعضها الى جانب بعض ، وزخرفت قاعدة الحجر، كما ترى في الصورة ويظن بعضهم أنه رمز الإله القمر .

من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢٤)

1. Hand. der alt. arch., I, S. 147, Deutsche Aksum Expedition, II, S. 143. ff.

2. A. Grohmann, S., 209.

وقد أبدع الفنان في الحفر ، وأجاد في الزخرفة وفي إتقان عمله ، وأعطى عمله روعة ، فترى الحفر على مستوى واحد ، وقد عمل بدقة ومهارة . وإتقان العمل والإبداع في الفن من المزايا التي امتاز بها أهل العربية الجنوبية حتى اليوم .

وهناك أنواع من الأعمدة تتكون من ثمانية أضلاع ، وأنواع أخرى تتكون من ستة عشر ضلعاً ، عثر عليها في مدينة (تلقيم) ، وتتكون تيجانها من ست درجات : ثلاث منها على هيئة نصف اسطوانة : بطونها الى الخارج وقاعدتها العمود ، وثلاث على هيئة صفائح مستطيلة ذات ستة عشر ضلعاً . وقد نُحِتت هذه التيجان وربت على هذا الشكل : الدرجة السفلى مكونة من مستطيل ذي ستة عشر ضلعاً ، وفوقه درجة على هيئة نصف أسطوانة يليها مستطيل ذو ستة عشر ضلعاً ، وهكذا الى أن ينتهي التاج بالدرجة السادسة للتاج^١ .

وقد عثر على نماذج من الأعمدة المثلثة الأضلاع في معبد (صرواح) بـ (أرحب) ، وفي (حقه) وفي (العرين) وفي (بيت غفر) وفي (سوق النعم) وفي (شبام كوكبان) وفي (مأرب) ، وفي مواضع أخرى . ويرجع عهد هذا النوع إلى ما قبل الميلاد ، ويمتد إلى ما بعده . ويرى بعض الباحثين ان أكثر هذه الأعمدة قد ظهر في فترة من الزمن تقع فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني من بعد الميلاد^٢ .

وقد رأى (كلاسر) Glaser عموداً مثمناً ذا تاج (كورنثي) في مسجد (منقط) بالقرب من (بريم) ، يرى الباحثون انه من صنع عامل يوناني . وهم يرون ان أصله من مدينة (ظفار) التي لا تبعد كثيراً عن هذا المكان ، جيء به من هناك إلى هذا المسجد . وقد كانت (ظفار) مركزاً خطيراً وعاصمة لحمير ، وفيها أسس (ثيوفيلوس) كنيسة حوالي سنة (٣٥٤) للميلاد . وصارت هذه المدينة مركزاً لأسقفية تشرف على نجران وهرمز وسقطرى . وقد عثر في هذا المسجد على قطع أخرى أثرية ، عليها آثار الصليان وكتابات حبشية وآثار أخرى تشير إلى أصل نصراني ، يظهر انها من أيام استيلاء الحبشة على اليمن ، وانها ترجع إلى ما بين سنة (٥٢٥) و (٥٧٠) للميلاد . وفي خلال هذه المدة كان

Hand. der altar. alter., I, S. 148.

A. Grohmann, S. 210.

احتلال الحبشة للعربية الجنوبية^١ .

ولا استبعد أن يكون من بين هذه الأعمدة التي نحت الصليب فوقها ، أعمدة جاهلية أخذت من المعابد الوثنية ، ثم حفر الصليب عليها ، لتناسب مع الطقوس النصرانية . أو أنها كانت معابد وثنية قديمة ، فلما استولى الحبش على اليمن ، أو عند اعتناق أهل تلك المواضع للنصرانية حوّلوا تلك المعابد الى كنائس وأحدثوا فيها بعض التكيف والتغيير لتكون في وضع يناسب الكنيسة ، فكان في جملة ما أدخلوه عليها حفر الصليبان على أعمدة تلك المعابد .

وتظهر الأعمدة المكونة من ستة عشر ضلعاً ، وكأنها اسطوانة ، أي عموداً ذا شكل دائري . لأن الأضلاع صارت ضيقة متقاربة أعطت العمود شكل اسطوانة . وقد عثر على نماذج من هذه الأعمدة في مدينة (تلقم) وفي معبد (صرواح) بأرحب ، وفي (صرواح) (الحربية) وفي (القراس) ، وفي جامع المتوكلية بصنعاء^٢ .

ويرى بعض الباحثين أن الأسطوانات ، أي الأعمدة المدوّرة ذات الشكل الاسطواني التام ، قد ظهرت بعد الأعمدة المذكورة ، وأنها ترجع الى الأزمنة المتأخرة لذلك من تاريخ اليمن^٣ .

ومن العربية الجنوبية انتقلت هذه الأعمدة إلى بلاد الحبشة ، حيث نجدها في معابد الحبشة القديمة . وقد أخذ أهل تلك البلاد هذا النوع من الأعمدة في جملة ما أخذوه من حضارة أهل العربية الجنوبية^٤ . وقد رأينا ان أهل سبأ كانوا قد أقاموا حكومة لهم في إفريقية ، وقد ترك أهل العربية الجنوبية ، ولا سيما أهل سبأ منهم ، آثاراً في اليمن في مختلف النواحي ، ما تزال ظاهرة للعيان .

وقد استعملت الأعمدة المصنوعة من الخشب لحمل السقوف ، ولا سيما في البيوت .

1 Philostorgios, Historia Ecclesiastica, III, 4, Handb. der altar. alter., I, S. 148.

2 A. Grohmann, S., 210, Rathjens un Van Wissmann, Vorislamische Altertümer, 132, 133, Glaser, Geographische forshungen in Jemen, 1882, 73.

3 A. Grohmann, S., 210.

4 Deutsche Aksum — Expedition, II, S. 101. f, 154, ff, Hand. der altar. alter., I, S. 148.

وتوجد هذه الأعمدة بتيجان في الغالب ، جعلت على هيات وأشكال مختلفة . ولا يزال الناس يستعملون هذه الأعمدة في بناء البيوت .

وقد نوّع المعمار هندسة تيجان الأعمدة والأساطين، بأن جعلها أشكالاً وأنماطاً ، راعى وحرص على أن يجعلها تتناسب مع شكل العمود الذي سيوضع التاج فوقه، أو الاسطوانة التي سيوضع عليها . وقد مرّ هذا التنوع في أدوار وأطوار ، كما مرت صناعة الأعمدة والأساطين بهذه الأدوار كذلك . لقد كان التاج في بادئ أمره جزءاً أساسياً من أجزاء العمود ، أي قطعة منه . هي القطعة الأخيرة من قطع العمود . وعلى هذا الجزء أقام قواعد السقف من غير أن يميزه عن الأجزاء الباقية من أجزاء العمود بأي شيء . ثم بدا له أن يجعل للقطعة الأخيرة حافة عليا بارزة ، وأن يجعل أعلاها أوسع من أسفلها الذي هو قاعدة التاج التي تتركز على بقية أجزاء العمود . وذلك لأسباب فنية تتعلق بالبناء وبعقد عقود المعابد.

تم أخذ يجعل التاج قطعة حجر تكون أوسع مساحة من مساحة القطعة من العمود الذي سيوضع فوقها ، أي أوسع من مساحة العمود نفسه ، وصار يزخرفه ويتفنن في زخرفته، حتى ظهرت عنده جملة تيجان أقيمت عليها سقوف المعابد والقصور . وقد عثر على تيجان بسيطة هي عبارة عن حجر وضع فوق العمود ، ولكي يربط هذا التاج بالعمود ربطاً محكماً ، ويجلس فوقه جلوساً تاماً هندسياً ، فقد ربط بالعمود بوترد يقوم مقام المسار في ربط أجزاء الخشب بعضها ببعض، يدخل في التاج وفي العمود ليربط بينهما ويجعلها وكأنهما قطعة واحدة من حجر . وقد توضع بين التاج والعمود مادة بنائية لتشد بين الحجرين وتمسك بينهما ، فضلاً عن (المسار) الذي يدخل في الثقب الموجود في الحجرين، إن كان ذلك (المسار) متحركاً أي متقللاً ، أو في الثقب المحفور في الحجر المقابل ، إن كان ذلك (المسار) أو الوترد ثابتاً وقد نحت في أحد الحجرين حتى صار مرتفعاً كقطب الرحي، ليدخل في التجويف المعمول في الحجر الثاني المقابل وبذلك يماسك الحجران.

وقد وجد (كلاسر) تاج عمود ، ظهر أنه كان مؤلفاً من حجرين ، حجر مربع الشكل أطرافه قائمة الزوايا ، وأضلاعه الخارجية عدلة ، ثم حجر آخر أقيم تحته ، أي فوق العمود ، أطرافه الخارجية منحوتة نمحاً جعل الأطراف ماثلة نحو العمود ، أي الى الجهة السفلى . وربما كان هذا النوع من التيجان مرحلة من

مراحل تكبير التاج وتطويره بجعله يتألف من جملة طبقات . كما عثر على تيجان جعلت جملة طبقات ، طبقة مصقولة ملساء ، وطبقة منحوتة ومزخرفة زخرفة هندسية أو بأشكال أخرى حسب ذوق المهندس المعمار الذي وضع تصميم المكان .

عثر على نماذج أخرى عديدة من التيجان ، تفنن في نحتها وفي تكوينها المعمار . وتمثل بعض منها شخصية ذلك المعمار تمام التمثيل . فهي مستقلة تمثل طابع العمارة العربية الجنوبية . ولكننا نجد بعض التيجان وكأنها تقليد ومحاكاة لتيجان أجنبية .

فبينها تيجان تشبه تيجان أعمدة بعض معابد مصر التي تعود إلى ما قبل الميلاد ، ونجد بعضاً وكأنه محاكاة لتيجان يونانية أو رومانية أو فارسية أو حبشية . وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان عدداً من تيجان الأعمدة الموجودة اليوم في بعض دور الحكومة بصنعاء، أو في المساجد أو في بعض البيوت هي من أيام الاحتلال الحبشي أو الساساني لليمن . ولا يستبعد أن يكون من بينها تيجان وأعمدة أخذت من كنيسة (القليس)^١ .

ولما كانت العربية الجنوبية على اتصال بالعالم الخارجي ، منذ عصور ما قبل الميلاد، وقد شهدت فتوحاً أجنبية ، كما كانت لها صلات تجارية مع الروم والإفريقيين والهنود والفرس ، فلا يستبعد استخدام العرب الجنوبيين للأعاجم في أعمال البناء ، وتأثرهم بالأساليب المعمارية الأجنبية ، ولا سيما في أثناء الفتح الحبشي لليمن ، فقد ذكر أهل الأخبار أن الحبش استعانوا بفعلة من الروم في بناء (القليس) ، كما أن الروم كانوا قد شيدوا كنائس في عدن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب ، وقد بنيت هذه الكنائس وفقاً لأسلوب الفن البيزنطي النصراني ولا شك . وقد كان بين الفرس من يحسن البناء ويتقنه ، كما كان لأهل العربية الجنوبية اتصال بالفرس قبل هذا الفتح ، وكانت فيها جاليات منهم ولا سيما في الأقسام الجنوبية الشرقية ، فأثروا بذلك في طراز البناء .

وما قلته من تفنن المعمار العربي الجنوبي في تنوع الأعمدة وتيجانها ينطبق أيضاً على القواعد التي أقيمت الأعمدة عليها . فبعد أن كانت قاعدة العمود أو الاسطوانة بسيطة ، لا تمتاز عن العمود بأي شيء ، بل كانت قطعة واحدة منه ، ليست لها عن بقية الأقسام أية ميزة ، رأى المعمار تمييزها عن بقية الأقسام ، فجعلها أوسع

١ A. Grohmann, S. 218, Sabaelca, I, 119. ff.

من العمود ، وأعطاهما أشكالاً هندسية وزخرفية ميزتها عن العمود وعن تاجه .
فنجد قواعد أعمدة على شكل مربع أو على شكل مستطيل أو على شكل دائري .
ثم نجدها بسيطة تماماً ، ونجدها مزخرفة ومزوقة . ونجدها وقد نحتت على شكل
تظهر وكأنها من طبقات مختلفة .

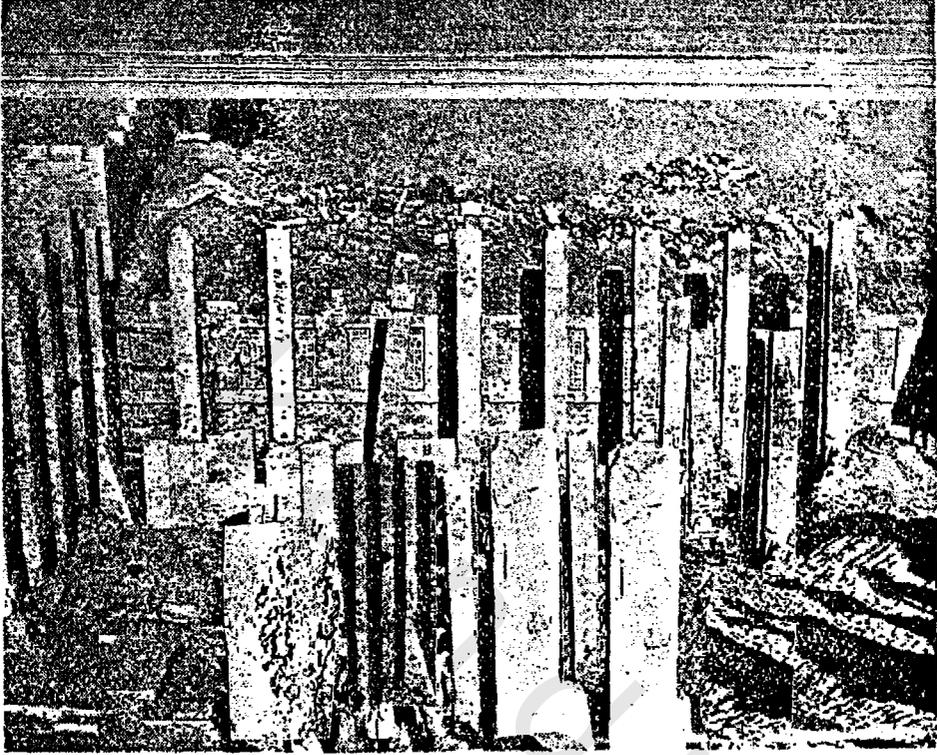
وعلى هذه الأعمدة والتيجان والاسطوانات أقيمت سقوف المعابد والقصور وبيوت
السادات عقدت عقداً على نحو ما نراه في الوقت الحاضر من بناء المساجد وبعض
الأسواق القديمة والأبنية الأثرية . ولا يستبعد استعمال أهل اليمن للقباب في معابدهم
وفي قصورهم ، فإدانة البناء متوفرة عندهم ، والإمكانات الفنية موجودة عند
المعمار العربي الجنوبي . عقدت على عقود وأقواس ينتهي مركز ثقلها بتيجان
الأعمدة أو برؤوس الأعمدة على طريقة بنائهم للمساجد في هذه الأيام .

ولم تجر حتى الآن حفريات علمية واسعة في اليمن وفي بقية أنحاء العربية الجنوبية،
كما أن دراسات المتخصصين الضليعين بعلوم العريات الجنوبية قليلة ، ولهذا كان
علمنا بالآثار العربية الجنوبية ضحلاً لا يعين على تكوين رأي علمي واضح صحيح
في آثار تلك الأرضين وفي صلة الحضارة العربية الجنوبية بغيرها من الحضارات .

لقد وضع (كلاس) مخططات تقريبية لبعض المعابد والأبنية القديمة في اليمن ،
مثل معبد صرواح ومعبد (محرم بلقيس) حرم بلقيس ، وهو معبد إله سبأ
الرئيس (المقة) وأماكن أخرى ، كما وضع غيره مخططات أخرى . ولكن هذه
الدراسات تقريبية وغير كاملة . ولا بد من وقت للبحث في هندسة هذه الأماكن
بحثاً علمياً دقيقاً . ومثل هذه البحوث لا تقوم إلا بحفريات عميقة منتظمة . توصلنا
إلى أسس تلك الأبنية وما طمر في الأرض من آثار تتعلق بتلك الأماكن .

وقد تمكن المتقنون في هذا اليوم من تثبيت معالم بعض المعابد ولا سيما معبد
(المقة) بمأرب ، حيث شخصوا بعض معالمه ، إلا أن تحديده بصورة مضبوطة
واضحة ، وتعيين مواضع العبادة فيه ، تحتاج إلى دراسات أثرية واسعة وبمقياس
كبير . فقد أمكن مثلاً تنظيف بعض مواضع معبد (اوم) (اوام) بمدينة
(مأرب) من الأتربة ، لتظهر معالمه ، وأمكن بذلك من الحصول على معلومات
أثرية لا بأس بها عنه ، غير أن معارفنا عنه لا تزال قليلة ، لأن البحث العلمي
لم يتم على هذا المعبد حتى الآن . وترى في الصورة بقايا الأعمدة التي كانت تحمل

سقف المعبد ، كما تشاهد بعض بقايا جداره ، وهو من المعابد المهمة التي كانت في (مأرب) .



معبد أوام بمدينة مأرب
من كتاب Qataban and Sheba (ص ٢٥٧)

وقد نسي اسم هذا المعبد القديم ، الذي كان يسميه السبئيون معبد (أوام) (أوام) . وكانوا يتقربون إليه بالهدايا والندور ، تقدم باسم رب هذا المعبد : (بعل أوام) . وهو (المقه) إله سبأ الأكبر ، إله القبيلة القديم. وهو القمر. ويسمى معبده في هذا اليوم بـ (حرم بلقيس) وبـ (محرم بلقيس) ، ويقع على مسافة ميلين تقريباً من قرية (مأرب) الحديثة . وتقع معظم ساحة المعبد وجدره وأبنته تحت الرمال . وما لم ترفع هذه الكثبان الرملية عنه ، فإنه من المستحيل التحدث عنه حديثاً علمياً . وقد سرق الناس أحجار السقوف وأعلى جدار المعبد ، لاستعمالها في البناء ، ولما زار (كلاسر) المعبد ووصفه ، رأى سقف

المعبد ، أي البيت الذي يتعبد فيه ، وكذلك أعالي سوره ، وكانت زيارته له سنة (١٨٨٨ م) ، ولا نجد اليوم من آثار السقف وأعالي الجدران شيئاً ، بسبب سرقة الأحجار ، ولولا الرمال التي غطت الأرض والجدران وساحة المعبد ، وحفظت في باطنها أحجارها وبعض الأعمدة الضخمة التي صعب على الناس قلعها ، لما تبقى من حجارة هذا المعبد شيئاً .

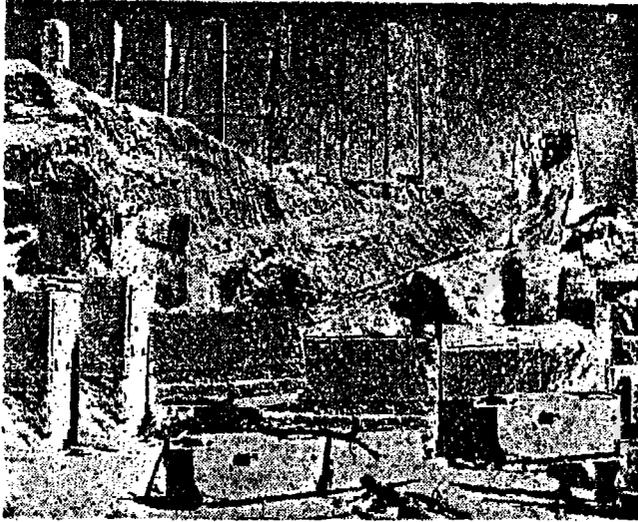


جانب من معبد - أوام -
وترى أبوابا ونوافذ لقاعة
من قاعات هذا المعبد .
ويظن أنها ليست من أصل
المعبد بل أضيفت إليه .
من كتاب
Qataban and Sheba
(ص ٢٧٢)

وقد بني هذا المعبد في أيام (المكربين) ، وقد وجدت فيه كتابة تعود الى أيام المكرب (يدع ايل ذرح بن سمهلي) مكرب سبأ . ويرى (البرايت) أنه حكم في منتصف القرن السابع قبل الميلاد . وربما كان هذا المكرب قد جدد بناء هذا المعبد الذي أقامه مكربون سبقوه في الحكم .

وتجد في هذه الصورة بقايا جدار معبد (اوم) ، وبقايا نوافذ حجرية ، وقد تخللتها ثقوب لدخول الهواء والنور منها ، وقد نقشت وزخرفت . وقد جدد ورمم بناء المعبد مراراً ، وأضيفت عليه جملة زيادات ، كما يتبين ذلك من الكتابات التي عثر عليها المتقنون داخل المعبد، وقد دوت لمناسبات التجديد وادخال الإضافات، ثم من طراز الهندسة الذي نراه في البناء ومن تنوع الأحجار ومادة البناء .

وهذه صورة أخرى ، أخذت أثناء قيام بعثة (وندل فيلبس) بأعمال الحفر في معبد (اوام) وترى الأعمدة قائمة ، والعمال يشتغلون في إزاحة الأتربة التي طمرت ذلك المعبد القديم .



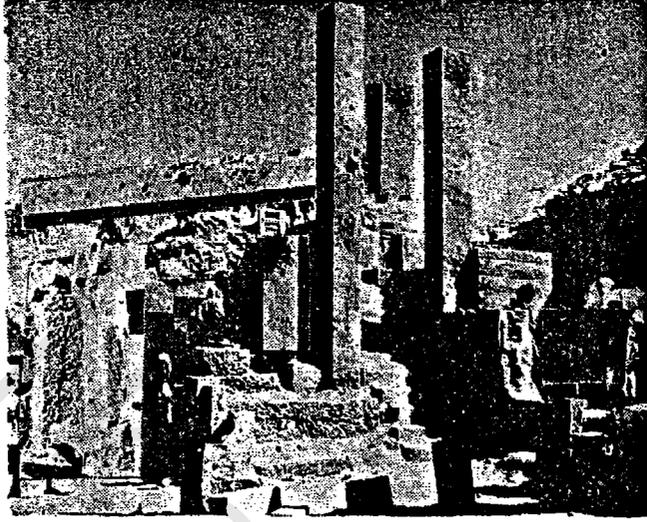
من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٥٦)

١ راجع الصفحة (٢١٥ وما بعدها) من كتاب :

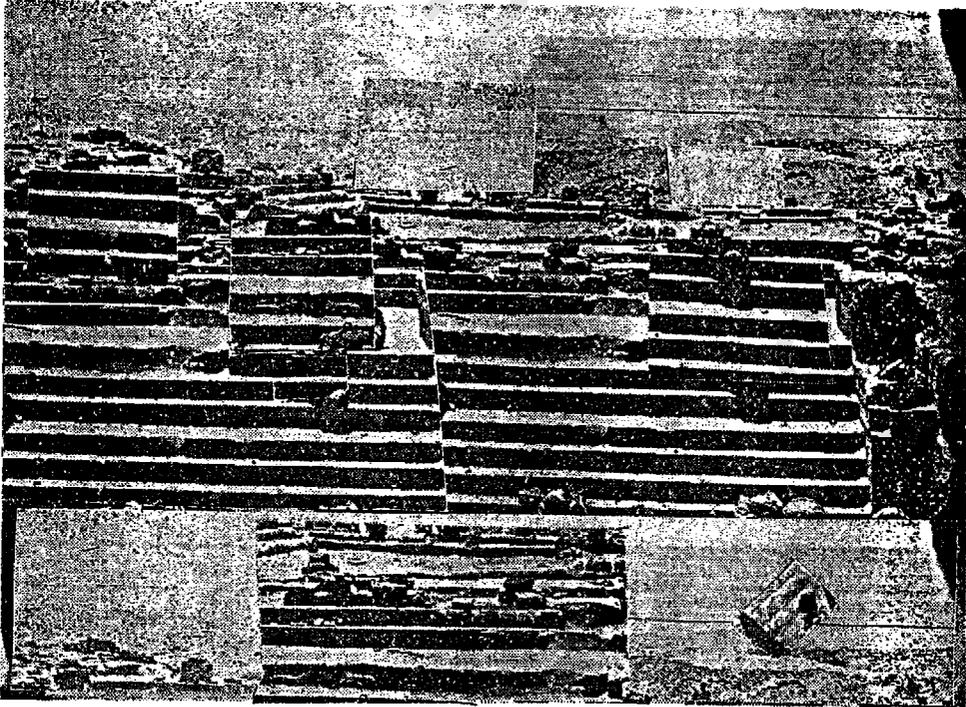
Archaeological Discoveries in South Arabia, 1958, by John Hopkins Press.

• للوقوف على وصف هذا المعبد .

وهذه صورة أخرى لمعبد (اوم) (اوام) ، في أثناء قيام بعثة (وندل
فيلبس) بالحفر فيه .



ونرى في هذه الصورة أعمال الحفر لبعثة (وندل فيلبس) وهي تجري في معبد
(عثر) بمدينة (تمنع) عاصمة قتيان . ويعود عهده الى القرن الأول قبل الميلاد .



وتوجد في نخرائب (مأرب) آثار معبد آخر خصص لعبادة (المقه) كذلك ،
هو معبد (برن) (بران) . ويعرف موضعه بـ (العمائد) عند أهل مأرب الحاليين .
وذلك لوجود أعمدة من أعمدته القديمة ظاهرة على سطح الأرض . ولم يقم العلماء
بالتنقيب عن هذا المعبد المهم .



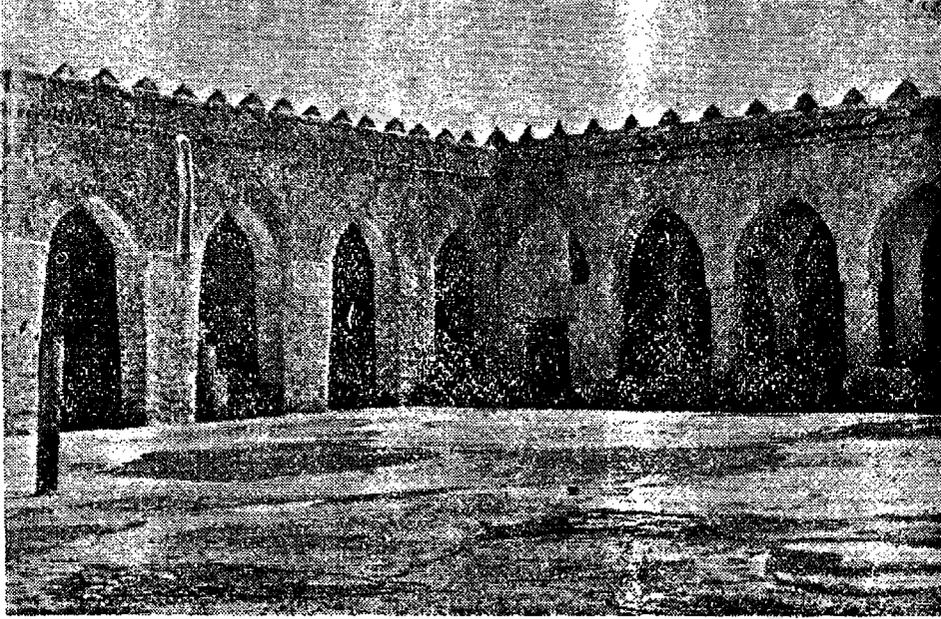
وقد بقيت في
العربية الجنوبية بقية
من أصول الهندسة
المعمارية الجاهلية ،
تظهر معالمها في المباني
الضخمة التي تكون
بيوت الحكام والأسر
الغنية ، والتي تضم
في الغالب أحجاراً
قديمة مكتوبة وغير
مكتوبة ، وتراثاً
قديماً موروثاً ورثه
المعمرون من عرب
ما قبل الإسلام .
وترى في الصورة
نموذجاً من الرياسة
القديمة المتمثلة في
مسجد (الأشرفية)
بمدينة تعز ، وهي
رياسة أخذت من
الفن الجاهلي . وترى
الضريح ، وقد أقيم

ضريح أحد الأئمة في مسجد الأشرفية بمدينة تعز
من كتاب : Günther Pawelke Jemen. (ص ٦٤)

Archaeological Discoveries in South Arabia, pp. 238, A. Jamme, inscriptions
de Al Amyid a Mareb, in Le Muséon, LXVIII, (1955), pp. 317, Jamme 534.

على طراز عربي قديم، لا يشبه الأضرحة التي توجد في البلدان العربية الأخرى، لاستمداده هندسته من هندسة الأضرحة القديمة في العربية الجنوبية .

ونرى في هذه الصورة المأخوذة لجامع (الجنديّة) فناً ، يختلف عن فن بناء المساجد في العراق أو في بلاد الشام ، فلعمود هذا الجامع ولأعمدته واسطواناته صلة بالأبنية العربية الجنوبية القديمة . وأنت إذا دقت في هذه الصورة ترى طراز بناء القسم الأيمن منها يختلف عن طراز بناء الجزء الأيسر منها، ومع ذلك فإن للطرازين صلة بالفن العربي الجنوبي . وترى سطح السقف ، وقد زين بأفاريز لها صلة بالأفاريز التي كان يعملها العرب الجنوبيون على مثل هذه المواضع من أسوار مدنهم ، وأبنتهم الضخمة من دور وقصور .



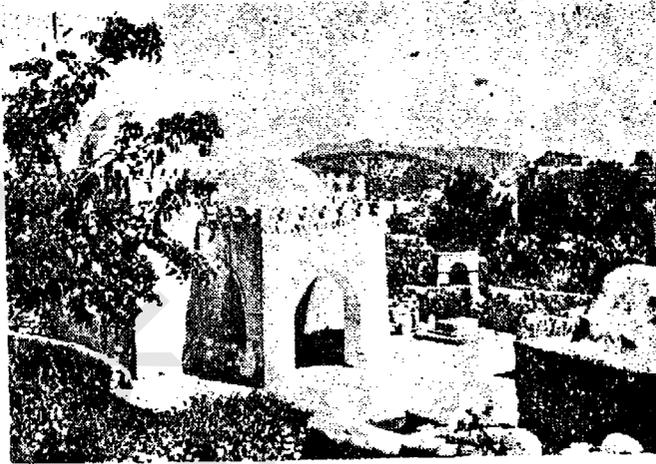
جامع الجنديّة

من كتاب : (Jamen, das Verbotene land)

لمؤلفه Günther Pawelke (ص ٩٦)

ونرى في الصورة التالية التي هي صورة مسجد بمدينة (تعز) ، فناً ، له جذور وأصول قديمة ، استمد روحه من الفن العربي الجنوبي الذي يعود إلى

أيام ما قبل الاسلام . وهو فن له استقلال في الشخصية ، ومزايا تميزه عن الفن في المواضيع الأخرى من جزيرة العرب. ونرى بعض قباب مساجد اليمن لها شخصية مستقلة ، ترشدنا إلى انها من أصل ذلك الفن الياباني العريق في القدم .



مسجد في تعز

من كتاب (Jamen, das Verbotene land)
لمؤلفه Günther Pawelke (ص ٤٨)

وعندي إن من الواجب في هذا اليوم دراسة الفن المعماري القائم حالياً في العربية الجنوبية ، المتجلي في الأبنية القائمة الباقية التي لها طابع عربي جنوبي خاص ، من قصور ودور ومساجد وأضرحة ، ودراسة فن الزخرفة المتمثلة في النقش على الحجر ، من زخرف قديم وزخرفة حديثة ، ودراسة الأعمال الفنية السائدة اليوم، مثل النجارة والحفر والنقش والرسم وما شاكل ذلك، لأن مثل هذه الدراسة تساعدنا كثيراً في الوقوف على الفن العربي الجنوبي .

وقد أبدع أهل العربية الجنوبية في فن الزخرفة . و (الزُخرف) في تفسير علماء العربية الذهب في الأصل ، ثم سميت كل زينة زخرفاً ، ثم شبه كل مموه مزور به . وفي حديث يوم الفتح أنه لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحى وأمر بالأصنام فكسرت . الزخرف هنا نقوش وتصاوير . ومن النقوش التي عثر

١ . تاج العروس (١٢٦/٦) ، (زخرف) .

عليها في العريية الجنوبية نقوش حيوانات وأشجار وصور بشر حفرت على الأحجار أو المعادن أو الأخشاب ، وعلى ألواح من الجبس ، استعملت في أغراض مختلفة للزينة . ومنها أحجار منقوشة ، نقش عليها عنقايد عنب وأغصان وأوراق ، وما شاكل ذلك . وجد علماء الآثار أن بعضاً منها يعود عهده الى القرون الأولى من الميلاد .

وإذا كانت المعابد شاهداً على الفن وعلى التفكير الديني لقوم من الأقوام ، فإن المقابر هي شاهد كذلك على وجهة نظر القوم الى العالم الآخر ، عالم ما بعد الحياة . فما في القبر من أدوات وأشربة وطعام وآنية ، أو من بساطة وسداجة ، تشير الى تفكير القوم في شكل الحياة الآخرة وفي كيفيتها وفي درجة تعلقهم وتمسكهم بالآلهة وبالدين .

وخير مثال على ذلك ، أهرام مصر وآثارها ، فإنها آثار قبورية ، تمثل ميلغ تغلغل الدين في نفوس الحاكمين وفي الشعب ، ووجهة نظرهم الى عالم ما بعد الحياة . لقد أنفق الحاكمون على قبورهم أكثر مما أنفقوه على قصورهم في الدنيا . إن بهم - بعد الموت - حاجة الى كل ما يحتاج اليه الإنسان في الحياة . ولهذا ادخروه في هذه المقابر ، ليستفيد منها الميت بعد انتقاله الى العالم الآخر ورجوع الحياة اليه . أما العربي ، فلم يهتم بقبره اهتمام المصري به ، فلم يترك (المكربون) ولا الملوك ولا الأمراء ما تركه الفراعنة والكهان والأمراء في قبورهم ، لا كله ولا بعضه . إنه لم يكن يحفل بالحياة الآخرة احتفال أهل مصر بها ، لذلك نجد قبره ساذجاً ، ثم هو لم يدخل فيه طعاماً ولا شراباً ولا أثاثاً ، ولم يدخل فيه كذلك خدماً وحشياً من بقايا الحاشية المسكينة التي أدخلت الى القبر قسراً لتخدم سيدها في العالم الآخر ، كما خدمته في العالم الأول .

وقد يقال إن لفقر بلاد العرب دخلاً في ذلك ، ولكن ما بال أهل اليمن ، وقد كانوا في سعة وخير ، لا يفعلون في قبورهم بعض ما فعله أهل مصر . وما بال قبور ملوكهم ساذجة ، لا تحوي ذهباً ولا حجارة كريمة ولا تصاوير وتمائيل وتواييت وجثثاً للضحايا التي تدفن مع الميت ؟ إن ذلك ، إن دل على شيء ، فإنما يدل على اختلاف في وجهة نظر القوم عن وجهه نظر المصريين مثلاً

عن الحياة الآخرة . ونحن لا نتكهن في الزمن الحاضر عن وجهة نظرهم في ذلك الزمن ، لعدم وجود كتابات جاهلية أو آثار تتحدث عن تلك الحياة .

وإذا قلنا إن تلك القبور كانت ساذجة خالية من الكنوز التي يجدها الناس في اهرامات مصر ، فإن ذلك لا يعني ان قبور الجاهليين ، كانت كلها خالية من النفائس تماماً. فقد عثر في بعض منها على أساور من ذهب وخواتم وتمائيل وجرار بل وعلى سيوف وخنجر وسكاكين ، وضعت مع الميت في قبره، كما يروي أهل الأخبار ان بعض الجاهليين كانوا يتعقبون المقابر القديمة، فينبشونها لاستخراج ما فيها من أشياء نفيسة ، حتى ذكروا ان ثراء (عبدالله بن جدعان) إنما كان من المقابر القديمة التي كانت بمكة^١ ، ورووا قصصاً عن قبور زعم ان الناس عثروا فيها على كنوز ، وقد سبب هذا القصص إقدام الناس على نبش المقابر الجاهلية لاستخراج ما قد يكون في جوفها من ذهب وكنوز ، مما أفسدها وأزال معالمها وأضاع علينا تراث الجاهليين .

وقد ذكر (أبو علي لغدة) الأصفهاني ، ان « مجلدان هضبة سوداء ، يقال لها بتمة ، وبها نُقِبُ » ، كل نقب قدر ساعة، كانت تلتقط فيه السيوف العادية، والحرز ، يزعمون أن فيه قبوراً لعاد ، وكانوا يعظمون ذلك الجبل^٢ .

وقد عثر على بعض المقابر الجاهلية في العربية الجنوبية ، ظهر منها ان القبور ساذجة لا تكلف فيها ولا تعقيد في الغالب . ولكنها مختلفة باختلاف الأرضين والقبائل وطبيعة الأرض . فقد عثر على قبور اتضح منها ان الجاهليين في بعض أماكن من اليمن ، وضعوا الميت في تابوت قائم الزوايا ، مصنوع من الحجر ، وقد غطي بغطاء من الحجر كذلك . ومثل هذه القبور لا تكون في العادة إلا في الأماكن التي تتوفر فيها الحجارة. أما في الأماكن الصحراوية والترايبية التي لا تتوفر فيها مثل هذه الحجارة ، فلم يكن من الممكن وضع الميت في مثل هذا التابوت ، ولهذا كانوا يدفنونه في الأرض في لحد ، ثم يمال على الميت التراب . وقد عثر على جملة قبور تكون مجموعة واحدة يحيط بها حائط معقود بالحجارة يراوح ارتفاعه من متر إلى خمسة أمتار . وهي مدافن أسرة واحدة في الغالب . وقصد أشير إلى

١ الروض الانف (٩٢/٢ وما بعدها) .

٢ بلاد العرب (١٣ ، ٣٠) .

أمثال هذه المقابر في الكتابات . كما عثر على قبور هي غرف نحتت في الصخور ، وقد كُتِبَ على باب الغرفة ، أي القبر ، اسم صاحب القبر أو أسماء المدفونين في الغرفة^١ . وقد وصف (هريس) بعض هذه القبور^٢ .

وعثر على بقايا مقبرة خارج سور مأرب من ناحية الشمال والغرب ، تبين من فحصها ودراستها ان بعض الموتى قد دفنوا وقوفاً ، وبعضهم قد دفنوا على الطريقة المألوفة أي اضطجاعاً على الأرض . ومن هذه المقبرة العامة الجاهلية حصل (كلاس) على عدد كبير من شواهد القبور ، التي وضعت فوق قبور أصحابها لتدل عليهم ولتشير إلى صورة صاحب القبر واسمه^٣ .

وقد عثر في معبد (اوم) (اوام) ، المعروف بمحرم (بلقيس) ، على مقابر ، لها أبواب تؤدي إليها . ذات غرف ، اتخذت مواضع لوضع الجثث بها . وجد أن بعضها كانت مقابر للمكربين والملوك ، فقد عثر على اسم (سمه علي ينف) (سمهعلي ينف) (سمه علي ينف) ، مكتوباً على حجر في أحد القبور ، وعثر على اسم آخر هو : (يثع امر بين بن يكر بن ملك وتر) وهما من الملوك الذين اعتنوا بهذا المعبد ، فأضافوا إليه اضافات ، ولعل الحفريات المقبلة ستكشف عن أسماء ملوك آخرين قبروا في هذا المعبد الكبير ، الذي كان المعبد الرئيسي لشعب سبأ في عاصمته مدينة مأرب (هجرن مرين) ، (هجرن مرب) .

وقد عثر في هذه المقابر على مباخر ، يظهر أنها استخدمت لتبخير القبر عند دفن الموتى ، وفقاً لطقوسهم الدينية ، كما عثر على قطع من الأحجار الكريمة وبعض المصوغات المعمولة من الذهب ، ونظراً لوجودها مبعثرة ، يظن أن الأيدي قد عبثت بها ، فنهبت ما كان أهل الموتى قد دفنوه مع الميت من أشياء ثمينة^٤ .

ووصف (فون ريده) نوعاً من الأضرحة وجدته في (صهوة) بحضرموت . وقد وصفه بأنه بناء على هيئة مكعب ، طول كل ضلع منه زهاء ٢٥ قدماً ، وبارتفاع مماثل . وقد شيد من حجارة مربعة كبيرة ، ويبلغ سمك حائطه قدمين .

Handb. der altar. alter., I, S. 162. ١

W.B. Harris, A Journey through The Yemen, London, 1893, p. 273. ٢

Wissmann-Höfner, S. 28. ٣

Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 235 ٤

وهو مقسم في الداخل الى قسمين . يكون القسم الواحد غرفة يفصل بينها حائط يبلغ ارتفاعه ست أقدام من مدخل البناء . ويتكون السقف من حجارة عرضها قدما . ونجد في جوانبه ثلاثة أهرام للزخرفة . وعلى البناء كتابة قبورية تشير الى القبر^١ .

ولتخليد ذكرى صاحب القبر ، ولوقوف الناس عليه ، استخدم العرب الجنوبيون كثيرهم شواخص قبور ، هي عبارة عن أعمدة من الحجر رباعية أو غير رباعية يكتب في أعلاها اسم المتوفى . وقد يصور تحت الكتابة صورة تمثل الميت ، أو ترمز إلى شيء ديني . وقد عثر (كلاس) على عدد من هذه الشواهد القبورية في مأرب^٢ .

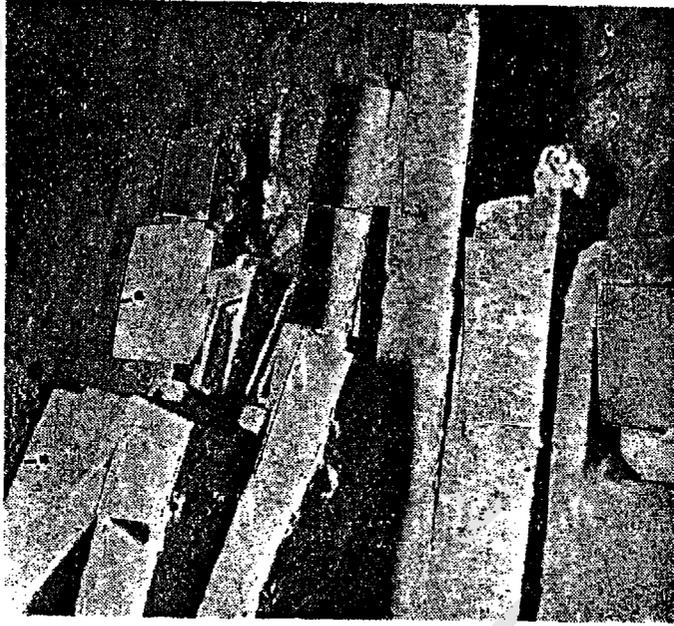
وقد تكون الشواخص على هيئة صخور مستطيلة ، يكتب عليها اسم صاحب القبر . وقد تزخرف هذه الصخور . وتنتهي الكتابة بلفظة (صل) في بعض الأحيان ، بمعنى صنم ، أي صورة ، ويراد بها صورة المتوفى ، أو الرمز الدال على شيء مقدس . وقد تدون الكتابة في القسم الأسفل من الشاهد ، وتحفر الصورة في القسم الأعلى منه . وعثر كلاس أيضاً على نوع آخر ساذج من الشواهد ، هو عبارة عن نصب يشتمل على الكتابة وتحتها عينان فقط^٣ . وثبتت هذه الشواهد في الأرض . وقد وجد لبعضها حافة رقيقة كحد السكين ، وذلك لتسهيل تثبيتها في الأرض ، ومقاومتها لعيب الهواء والآفات الأخرى فيها^٤ .

ويقال للقبر (مبر) و (هقبر) (القبر) في اللحيانية^٥ . وقد عثر المنقبون على أحجار قبور ، كتبت عليها أسماء الموتى ، وصورت عليها صور تشير الى الميت ، وحفرت عليها بعض الرموز والإشارات المستعملة في طقوسهم الدينية .

وقد وجدت في المقبرة الملكية للملك أوسان تماثيل لبعض ملوك هذه الأسرة الصغيرة التي حكمت مملكة أوسان ، وقد كتبت على قاعدة التماثيل أسماء الملوك ، ويتبين من وجودها في هذه المقبرة ، أن آل الميت دفنوا مع الملك المتوفى تماثلاً

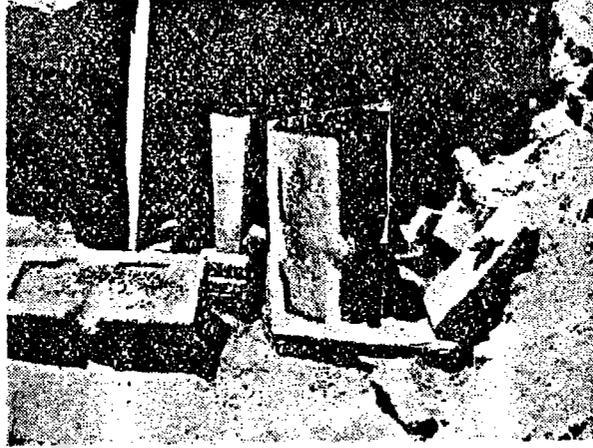
١ A. von wrede, Reise in Hadhramaut, S. 245.
٢ Handb-der altar-alter, I, S. 163, Wissmann-Höfner, S. 28
٣ D.H. Müller, Südarrabische Altertuner, S. 50.
٤ Handb-der altar-alter. I, S. 164.
٥ النص رقم ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ من كتاب : W. Caskel, S. 99, 133.

له ، ربما ليدل على قبره . وكتب لذلك عليه اسمه ليعرف ، ولم يعثر على مواد أخرى ثمينة، ويظهر أنها كانت موجودة غير أن السرقات سرقتها، فلم يبق فيها غير ما فات عنهم ، فلم يصلوا اليه . وقد موّنت المقابر الأخرى التي سلمت علماء الآثار والباحثين بألواح من الحجر ، نحتت عليها صور المتوفين ، فوضعت شواخص على القبور ، ليعرف بالشاخص صاحب القبر ، كما عثر على مثل هذه الشواخص في باطن القبر ، مما يدل على أنها دفنت مع الميت في القبر .



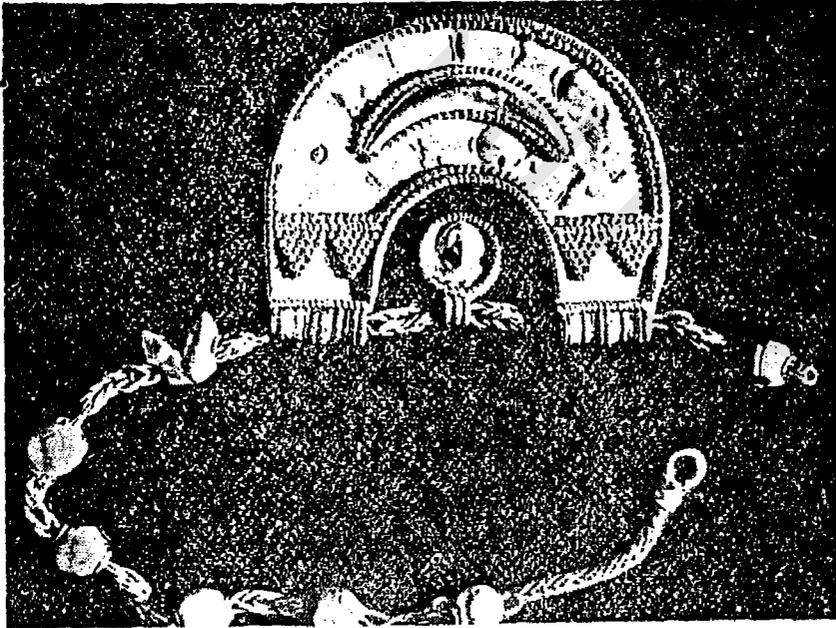
شواخص قبور حاول صانعوها إبراز معالم أصحابها
وقد أبدعوا في بعضها وخابوا في البعض الآخر .
من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢٤)

ونرى في الصورة التالية تماثيل صغيرة استخرجت من مقبرة قديمة ، ويلاحظ ان الأنف دقيق ، وقد حفرت العيون حفراً ، وجعلت واسعة نوعاً ما في بعض التماثيل . وقد نقرت بعض هذه القبور نقرأ في الصخور ، وهي صغيرة لا تتسع إلا لميت واحد ، ولكن المتقنين وجدوا مقابر جماعية ، تضم أفراد العائلة الواحدة .



تمائيل عشر عليها في مقبرة قديمة
من كتاب « Qataban and Sheba » ص(١١٧)

وعثر في المقابر التي ضمت جدث نساء على أقراط وحلى نسائية ، وعلى أشياء أخرى تستعملها المرأة . وقد أمكن بواسطتها من تشخيص صاحبة القبر ، ومن الوقوف على مكانة أسرتها ومنزلتها . وتوجد بعض الحلى في المتاحف ، وهي



قلادة من الذهب الخالص تعود الى القتبانيين ، عشر عليها في مقبرة قديمة عند «تمنع»
من كتاب : « Qataban and Sheba » ص(١١٦)

جميلة تدل على مهارة (الصائغ) العربي الجنوبي . وفي جملة ما عثر عليه قلادة ، عمل القسم الرئيسي منها على شكل هلال ، بداخله زخارف ، كما ترى في الصورة السابقة التي عثر على أصلها في مقبرة قديمة من مقابر (تمنح) عاصمة قتيان .

ووجدت مصوغات أخرى من ذهب ، لا يزال الصاغة يصوغون من أمثالها في العربية الجنوبية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب . منها ما يعلق على الرأس ، ومنها ما يعلق على الرقبة ، ومنها ما يوضع على الزند أو المرفق أو الأرجل ، ويلاحظ ان لفن الصاغة في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية طابع خاص يميزه عن فن الصاغة في البلاد الأخرى . وقد وضع الصاغة شعارات دينية على بعض المصوغات تيمناً وتبركاً بها . ولهذا فن المستحسن مقارنة المصوغات الحالية مع المصوغات الجاهلية التي عثر وسيعثر عليها ، للتوصل بهذه المقارنة إلى معرفة تأريخ هذه الحرفة عند العرب .

وقد وجدت مجامر قديمة في مواضع متعددة من اليمن . وقد استعمل بعضها في المعابد ، واستعمل بعض آخر في البيوت حيث يحرق فيها البخور أو بعض الأخشاب ذوات الروائح الطيبة العطرة لتطيب القادم . ولا تزال هذه العادة المعروفة قبل الاسلام مستعملة في اليمن ، وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب ، كما في (بيشة) مثلاً ، وذلك على سبيل التقدير والتكريم والاحترام .

في بلاد عسير : (ص ٦٢) .

الفصل الثامن عشر بعد المئة

الخزف والزجاج والبلور

الخزف: ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخاراً ، وباتمه الخزاف^١ .
والفخار : الخزف . وذكر انه ضرب من الخزف تعمل منه الجرار والكيزان
وغيرها . وورد في القرآن الكريم : « من صلصال كالفخار »^٢ .
والفخارة من الحرف المعروفة عند الجاهليين . ومادة الفخار الطين يسوي على
الشكل المطلوب . فإذا جف ، فخر بالنار . وأواني الشرب أي الجرار هي من
أكثر الفخار استعمالاً حيث يوضع فيها الماء ، والكيزان^٣ . واستعمل الفخار لتخزن
المواد الغذائية أيضاً ، ولحفظ الأشياء الثمينة مثل الذهب والنقود والحلي، ولأغراض
أخرى عديدة ، ويكون في كل الأماكن الأثرية مادة مفيدة للآثارين .
وقد ذهب بعض علماء اللغة إلى ان (الكوز) لفظة معربة ، عربت عن
الفارسية ، وذهب آخرون إلى انها عربية أصيلة^٤ ، وصانعها هو (الكواز) .
وعرف الخزف بأنه كل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى صار فخاراً . أما
صاحبه ، فهو الخزاف^٥ .

- ١ اللسان (٦٧/٩) .
- ٢ الرحمن ، الآية ١٤ ، اللسان (٤٩/٥ وما بعدها) .
- ٣ شرح القاموس (٤٦٦/٣) .
- ٤ شرح القاموس (٧٦/٤) .
- ٥ شرح القاموس (٨٤/٦) .

وقد عثر على جرار على هيئة (الثومة) ، أي ذات عتق طويل ، وأما أسفلها فواسع ، في مواضع متعددة من جزيرة العرب وفي بلاد الشام . وتعرف بـ (بقبق) و (بقبقة) . وهي (بقبق) (بقبوق) في العهد القديم .

وللتربة أهمية كبيرة في صنع الخزف ، ولهذا اشتهرت بعض المواضع ذات التربة الجيدة بجودة فخارها ، فكانت تصدره الى أماكن أخرى . كما أن للعناية التي يبذلها الفخار في عجن الطين وفي تنقيته من الشوائب أهمية كبيرة في صناعة الفخارة .

ولم يشر أهل الأخبار الى الآلات التي يستعين بها الخزاف والكواز الجاهلي في صناعته . ولكن سكوتهم هذا لا يكون دليلاً بالطبع على عدم استعانة الفخار والكواز بالآلات ، فليس من المعقول صنع أنواع الفخار بغير آلة . فإن عملها باليد وبغير آلة ، أمر يكاد يكون صعباً . وكل الخزف الذي عثر عليه ، يدل على أنه صنع بآلة ؛ لأنه على شكل منتظم . والآلة التي يستخدمها الخزاف في صناعته ، هي دولاب يدبر قرصاً من الخشب ، يوضع عليه الطين ثم يحرك ، فيدور القرص ويدور الطين الذي عليه معه ، ويعالجه الخزاف بيده ليعطيه الشكل الذي يريده . ولصنع خزف جيد لا بد من العناية بالطين ، فيختار ترابه من تربة جيدة خالية من الأملاح والرمال ، ثم يعجن بعناية ، ويترك مدة ليختم جيداً . وإلا كان الخزف رديئاً . وقد يدهن الخزف بعد جفافه بدهن ملون أو ينقش بنقوش ، ثم يفخر بالنار .

واستخدم (الأتون) ، لتحويل المواد التي صنعها الخزاف من الطين الى خزف. والأتون هو (كورة) في أسفله موقد توقد فيه النيران ، فيرتفع لهيبها وتصلد حرارتها من خلال فتحات تكون في قاع الأتون الذي هو سقف الموقد الى أعلى مارة بين مصنوعات الطين الموضوعة في باطن الأتون لتشويها فتتحول بذلك الى خزف وفخار . وتكون الأتونات مرتفعة لها فتحة في أعلاها وفتحة في الجانب تغلق أثناء العمل ، وتفتح بعد نضوج الخزف والفخار . ولا يزال الخزافون والفخارون يصنعون بضاعتهم بهذه الأتونات على النحو المذكور . ويذكر علماء

العربية أن الأتون لفظة معربة . وأنها تطلق على أخدود الجيار والجصاص وأتون الحمّام^١ .

وقد كان الجاهليون يدهنون الجرار أحياناً ، لسد مساماتها لمنع السوائل من السيلان منها ، فكانوا يضعون النيذ فيها مثلاً والسمن وامثالهما . وصانعها هو الجرّار^٢ . وقد كان أهل يثرب يحملون الخمر في جرار حمر ، يطلقون عليها اسم (الحنتم) ، وذكر ان (الحنتم) الخزف الأخضر أو كل خزف^٣ . وورد : الحنتم جرار مدهونة خضر كانت تحمل إلى المدينة فيها الخمر ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم . وقد نهى عن الدباء والحنتم . وانما نهى عن الانتباز فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها . وقد أشير إليها في شعر للنعمان بن عدى :

من مبلغ الحسناء أن حليلها بميسان يسقى من رخام وحنتم^٤

وطالما استعملت الجرار لخزن الأشياء النفيسة فيها مثل الذهب والنقود والحلي وما شاكل ذلك ، إذ توضع هذه الأشياء في داخل جرة ثم تسد وتدفن حتى لا يقف عليها اللصوص والطامعون في المال . وقد عثر الجاهليون والمسلمون على كنوز كانت مخبأة في جرار طمرت تحت التراب .

والقلال من صنع الخزاف . وعرفت القلة بأنها الحب العظيم ، وقيل الجرة العظيمة ، أو الجرة عامة . وقيل الكوز الصغير . وذكر انها إناء للعرب كالجرة الكبيرة ، إلى غير ذلك من آراء ، يظهر من غربلتها ان القلة جرة كبيرة ، بدليل ما ورد عنها في الحديث من اشارات تفيد كلها ان القلة كبيرة . وقد اشتهرت (هجر) بقلها ، فقيل (قلال هجر) . وهجر قرية قريبة من المدينة ، وليست هجر البحرين . وكانت تعمل بها القلال . واشتهرت الأحساء بقلها أيضاً^٥ .

وعرف (الحب) بالجرة الضخمة وبالخاوية ، وبأنه الذي يجعل فيه الماء . وذكروا

- ١ اللسان (٧/١٣) .
- ٢ تاج العروس (٩٢/٣) .
- ٣ المغرب (ص ١٤٢) ، « الحنتم : الجرار الخضر ، كانوا يحملون فيها الخمر » ، جامع الاصول (٥٠٠/٥) .
- ٤ تاج العروس (٢٦٤/٨) وما بعدها .
- ٥ اللسان (٥٦٥/١١) .

أنه فارسي معرب^١ . وعرفوا (الخاوية) بالحُب ، سمي بالخواية لأنه يستر الشيء ويخفيه^٢ .

وقد عثر المنتقبون على قمل وجرار وكؤوس من خزف ، وجدت على بعضها كتابات ، عثر على كثير منها في المقابر ، مما يدل على أنها دفنت مع الموتى في القبر . وقد يستنتج من ذلك أن أصحاب الموتى كانوا يتصورون أن موتاهم سيحتاجون إليها في حياتهم الثانية لشرب الماء بها ، ولذلك دفنوها معهم ، وقد يدل دفنها معهم ، على أنهم أرادوا بذلك وضع ما كان يستعمله الميت في حياته لإظهار تقديرهم للميت ، وأنهم يتنازلون عنها إليهم ، ولذلك دفنوا معه حليته وسلاحه وما كان عزيزاً عنده ، فقد عثر في المقابر على رؤوس حراب ، وعلى سيوف وخناجر ، وسكاكين ، ولا يعقل دفن هذه الأشياء مع الميت وفي قبره عبثاً ، بل لا بد وأن يكون لهم رأي فيه .

وقد استعملوا القدور المصنوعة من الحجر ، كقدور (البُرْم) المصنوعة من حجر صلد قوي يستخرج من موضع يسمى (المعدي) لا يبعد كثيراً عن الطائف^٣ .

والأعراب أقل من أهل المدر استعمالاً للفقار ، وذلك بسبب وضعه وطبيعة حياته . فالفقار ثقيل وهو سهل الكسر ، ويجب بذل عناية في حفظه ، وحياة الأعرابي حياة تنقل ، ولا توجد لديه أوعية لحفظ الفقار من الكسر ، ولهذا استخدم الأدوات المصنوعة من الجلود والمعدن والخشب بدلاً من الفقار .

ومن أواني الشرب (الراقود) ، وهو دنّ ، يسبح باطنه بالقار . وذكر (الجواليقي) ان اللفظة من الألفاظ الفارسية المعربة^٤ . و (القافزة) ، وهي (القاقوزة) و (القازوزة) . وهي مشربة أو قدح ، أو الصغير من القوارير والطاس^٥ .

١ اللسان (٢٩٥/١) .

٢ اللسان (٦٢/١) .

٣ ابن المجاور (٢٥/١) .

٤ المعرب (ص ١٦٠) ، تاج العروس (٣٥٦/٢) .

٥ المعرب (ص ٢٧٣) .



أدوات مصنوعة باليد ، تمثل كفاءة وقدرة العامل اليمني ودقته في الصنعة
 من كتاب « اليمن » ، « Yemen » مؤلفه : « Günther Pawelke » (ص ١٦١) .

ولا بد أن يكون بين الجاهليين أناس تخصصوا بصنع الزجاج وعمله ، فقد
 عثر على أواني معمولة من الزجاج وعلى قطع زجاج . وقد ذكر علماء اللغة أسماء
 أدوات من الزجاج ، مثل (الباطية) ، وهو إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل^١ .
 وذكر بعض العلماء أن الباطية شيء من الزجاج عظيم ، يملأ من الشراب ويوضع

١ المعرب (ص ٨٣) .

بين الشَّرب يغرفون منها^١ وهو (الناجود) على رأي بعض علماء اللغة^٢ . وتصنع الأقداح والقوارير والقناديل والأسرجة من الزجاج أيضاً ، والمصباح ، هو السراج يصنع من الزجاج كذلك ، وفيه موضع لوضع الفتيلة عليه ، لتأخذ وقودها الذي يساعد على إدامة اشتعالها منه . وهذا الوقود هو الزيت^٣ .

وقد ذكر الزجاج في القرآن الكريم: « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة »^٤ . وذكر علماء اللغة أن الزجاج : القوارير ، وان الزجاجة القنديل^٥ . وأن القوارير : أواني من زجاج في بياض الفضة لصفائها^٦ .

والمصباح : السراج ، وهو قرطه الذي تراه في القنديل وغيره^٧ . وعرف السراج ، بأنه المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل ، والمسرجة التي فيها الفتيل^٨ . و (القنديل) ، لفظة معربة ، عربت عن اللاتينية من لفظة Candela . وتعني مصباح وسراج ونبراس . وتقابل لفظة (نبراس) لفظة (نبرشتا) Nebrastha في لغة بني إرم . ولفظة (منوراه) (منوره) Manorah في العبرانية^٩ .

والقنديل ، لفظة أعجمية تخصصت بالمصاييح المحمولة . وقد يعلق القنديل وقد يتصل برجل تحمله . وتقابل لفظة (نبرشتا) في لغة بني إرم . أي (النبراس) في عربيتنا . و (منوره) (مينوره) في العبرانية . وقد أشير إلى القناديل في النوراة . وتستعمل في المعابد وفي بيوت الأغنياء . وقد تصنع من الذهب والفضة والبرونز ، على أشكال متنوعة^{١٠} .

-
- ١ المغرب (ص ٤١) .
 - ٢ شرح القاموس (٣٧/١٠) ، (٥١١/٢) .
 - ٣ شرح القاموس (٥٢/٢ ، ١٧٥) .
 - ٤ النور ، الآية ٣٥ .
 - ٥ اللسان (٢٨٧/٢) .
 - ٦ اللسان (٨٧/٥) .
 - ٧ اللسان (٥٠٦/٢) .
 - ٨ اللسان (٢٩٧/٢) .
 - ٩ Ency. Bibl. Vol. I, p. 644.
 - ١٠ شرح القاموس (٨٨/٨) ،

Ency. Bibl. Vol. I, p. 644, ff. Hastings, Vol. I, p. 348.

ومن مصنوعات الزجاج (المرآة) . وهي (مرات) في العبرانية أيضاً . وقد صنعت من المعادن المصقولة كذلك مثل النحاس. ووردت في التوراة لفظة (هجلونيم) فسرت بمعنى (مرآة اليد)^١ ، وتعني (المجلاة) في عربيتنا . والكأس ، هو إناء الشرب ، يشرب به . ويصنع من مواد مختلفة فقد يكون من الزجاج وقد يكون من معدن مثل الذهب أو الفضة أو الحديد وقد يكون من فخار . ويقال له (كوس) عند العبرانيين^٢ . وقد ينقش ويحلى بزخارف وباللؤلؤ والحجارة الكريمة . وقد ذكر (الكأس) في القرآن الكريم .

والراووق ، المصفاة ، وقيل : الباطية والناجود . وذكر بعض علماء اللغة ان الراووق الكأس . وقد وردت اللفظة في شعر لعدي بن زيد العبادي :

قدمته على عقار كعين الديك صفى سلاقه^٣ الراووق^٤

وقد عرف أهل العربية الجنوبية (البلور) لوجوده في اليمن وفي أماكن أخرى. وهم يستخرجونه من نوع خاص من الحجر ويصقلونه بعناية ، والغالب عليه اللون الأبيض غير ان بعضه ذو ألوان أخرى ، هو لون الحجر الذي أخذ منه . ولا يزال أهل اليمن يمارسون صقل الحجارة الكريمة التي يستخرجونها من بعض الجبال ، مستعملين في ذلك الماء والتراب الناعم على حجارة رملية ويصنعونها بأشكال مختلفة ويستعملونها في صنع الحلبي . وهي ذات ألوان متعددة : بيض وسود وخضر وزرق وصفر وحمر ، ومنها ما يجمع عدة ألوان متمازجة . ويعد جبل نقم وجبل الغراس من أهم المواطن التي تستخرج منها مثل هذه الحجارة على مقربة من صنعاء^٤ .

وقد عُني العرب الجنوبيون بشق الطرق وتمهيدها ، ويعمل القناطر والجسور وقد بلطوا بعض الطرق بالحجارة وبمادة تشبه (السمنت) ، وترى اليوم بقايا قناطر عملوها في الأودية للعبور عليها ، وقد دمر الكثير منها بسبب الحروب

Hastings, Dict. Vol. II, p. 181. ١

Hastings, Dictl. of the Bible, Vol. I, p. 533. ٢

شرح القاموس (٣٩٣/٦) ٣

العظم (الصفحة ١٣٦) ٤

والاهمال . ونرى في الصورة بقايا قنطرة جاهلية وقد تطرق اليها الخراب من كبر
العمر . وقد عملت على وادٍ يفصل بين الجبال .



منظر طريق جبلي قديم
من كتاب : Jemen (ص ١٣٦)

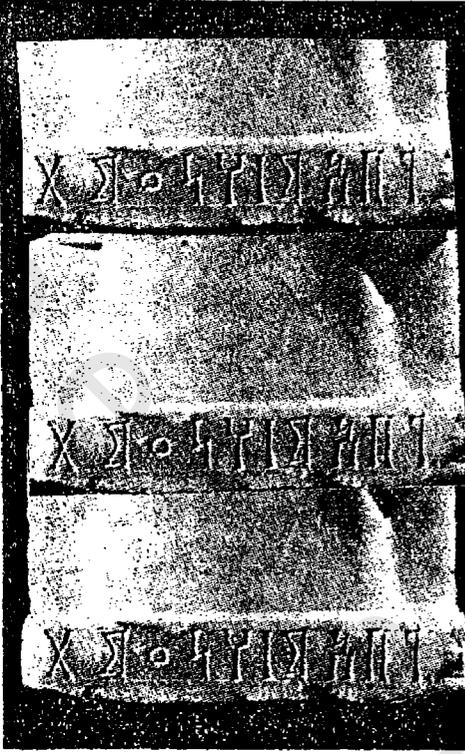
الفصل التاسع عشر بعد المئة

الفنون الجميلة

وبين الآثار التي عثر عليها الرحالون ، أو نقلت إلى بعض متاحف الغرب ، عدد من التماثيل والصور المنحوتة على الحجارة ، وهي قليلة في الوقت الحاضر لا تعطينا فكرة واضحة عن الفن العربي الجنوبي ، وبعضها يمثل فناً عربياً جنوبياً أصيلاً ، فلا يشبه المنحوتات اليونانية أو الرومانية ، أو المصرية ، أو الإيرانية ، أو غيرها، وبعض آخر له شبهة بفن بعض هذه الشعوب، مما حمل المستشرقين على أن يذهبوا إلى أن هذا التشابه هو نتيجة تقليد ومحاكاة لذلك الفن .

ونلاحظ على هذا التمثال الذي عثر عليه في مقبرة قديمة عند (تمنع) عاصمة (قنبان) ، ويعود عهده إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد ، ان التمثال حاول جهد إمكانه اعطاء تمثاله الذي صنعه طابعاً عربياً جنوبياً ، لكنه لم يتمكن من ذلك ، وقد دون في أسفله اسم صاحبه ، وهو (جيا ام هنعمت) ، (جيا أوام هنعمت) .

ومن الصعب إصدار حكم عام على الفن العربي الجنوبي استناداً الى هذه التماثيل والصور المنحوتة أو البارزة ، لأنها قليلة غير مغنية وغير كافية لإصدار حكم



تمثال رجل اسمه « جبا أوم هنقمت »
 عثر عليه في مقبرة قديمة عند « تمنع »
 يعود تاريخه الى القرن الاول أو الثاني
 قبل الميلاد .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ١٢٤)

في هذا الموضوع . ثم هي من صنع أيدٍ متعددة ، فيها أيدٍ قوية ذات موهبة ،
 وفيها أيدٍ ضعيفة انتاجها بدائي يشبه فن البدائيين ، لا تناسب فيه ولا تناسب بين
 الأجزاء . وقد نشأ ذلك بالطبع عن تفاوت مواهب المشتغلين بهذه الصناعات وعن
 وجود أناس اتخذوا الحفر في المرمر حرفة يتكسبون بها ، وقد يكون لأنهم ورثوا
 تلك الحرفة ، فاشتغلوا بها ، مع عدم وجود قابليات فنية لديهم .

وقد عبر عن النحات ، أي المثال الذي يصنع التماثيل بلفظة (هصنع) ، أي
 الصانع في اللغة اللحيانية . ويعبر عن صنع التمثال بلفظة (نحت)^١ ، أي حسب
 تعبيرنا عن نحت التماثيل في الوقت الحاضر . وتطلق لفظة (هصنع) على الرسام

١ راجع النص ٨٣ في كتاب : W. Caskel, S. 118

كذلك وعلى المعمار^١ .

ويلاحظ أن الفن العربي الجنوبي مثل أكثر الفنون الشرقية الأخرى، لا تجاري الفن اليوناني في حياة الجسم في موضوع إبراز جلاله^٢ . فإذا ما نظرت الى تماثيل أو صورة بارزة أو حفر عربي جنوبي ، ترى فرقاً واضحاً بين عمل الفنان في هذه الصور وعمل الفنان الهليني اليوناني المعاصر له . ففي عمل الأخير نرى عملاً فنياً جميلاً راقياً ، يبرز جمال الفن وروحية (الفنان) ، وهو عمل يقرب القطعة المعمولة الى قلبك ، ويجعلها تؤثر فيك تأثيراً عميقاً ، على حين لا نرى مثل هذا الإبداع في الفنون الشرقية في الغالب .

وفي الفن اليوناني تناسق وتناسب بين الأجزاء . راعى الفنان فيه النسب الطبيعية للجسم فتلها في تماثله ، وأظهرها بمظهر يشعر بقوة فنه وبتمكنه من التعبير عن أحاسيسه . أما الفن الجاهلي ، عموماً عربي جنوبي أو من موضع آخر ، فإنه لم يتمكن من تحقيق هذا التناسق ولا النسب ولا الاتساق والتوازن بين الأعضاء . ولم يتمكن الفنان مع كل ما بذله من جهد من اظهار الجمال الفني على القطع التي صنعها ، ولا من اعطائها حياة ودماً وروحاً أخاذة تجعلك تشعر انك أمام فنان عبر عن إدراكه الفني وعن الحس الذي يشعر به أحسن تعبير بأية طريقة أو مدرسة من مدارس الفن . وبأية وسيلة من وسائل التعبير عن الذوق الفني الذي تملكه الفنان فجعله يعبر عنه بطريقته التعبيرية الخاصة بهذا الانتاج المجسم لروحه والذي نسميه الفن .

ولا تملك المتاحف في الوقت الحاضر تماثيل جاهلية بالحجم الطبيعي للانسان . ويظهر ان اعتبار كثير من الناس للتماثيل أصناماً قد أدى بهم إلى اتلافها والقضاء عليها . وهناك أمثلة عديدة تؤيد هذا الرأي ذكرها القدامى والمحدثون . بل إن هذه النظرة لا تزال عند البعض . ثم إن الناس لم يكونوا يدركون قيمة الأثر في حفظ تاريخ أمتهم ، ولهذا فلم يكونوا يهتمون بالتماثيل ولا بالأحجار المكتوبة ولا بكل أثر من الآثار . وتوجد اليوم قطع تماثيل يظهر أنها من تماثيل حطمها الانسان بيده وهشمها بنفسه ، إما للقضاء على معالم الوثنية المتجسمة في نظره في هذا

١ راجع النص رقم ٣٢ في كتاب : W. Caskel, S. 93

٢ Handb. der altar. alter I, S. 166.

التمثال ، وإما للاستفادة من أحجاره في أغراض البناء أو أغراض أخرى تفيده .
ومن بينها رؤوس تماثيل أو أقدام تماثل ، أو جسم تماثل بلا رأس ولا أرجل .
أما التماثيل الصغيرة ، فقد وصل عدد منها دون أن يمسه أي سوء . وقد استخراج
عدد منها من باطن الأرض ، استخراجه المنقبون والمواطنون الذين أخذوا بحفرون
التلول الأثرية للبحث عن أثر يبيعه لتجار العاديات . وتجد في دور المتاحف وعند
جماع العاديات عدداً منها .

ومن بين التماثيل الكاملة التي تستحق الدراسة والانتباه ثلاثة تماثيل للملك من
مملكة (أوسان) . يبلغ ارتفاع احداها (٨٩) سنتراً . وقد نحتت من المرمر .
وهي تمثل مرحلة من مراحل التطور في فن النحت عند العرب الجنوبيين . وقد
حاول النحات جهد امكانه بذل أقصى ما عنده من فن وقابلية وموهبة في اعطاء
هؤلاء الملوك ما يليق بهم من جلال ووقار ومظهر ، وإبراز ملامحهم وملابسهم ،
ولكنه فشل في نواحٍ ووفق قدر استطاعته في نواحٍ . وقد نحت شعر الرأس
وجعله متديلاً طويلاً مجعداً . وجعل للتماثيل قواعد استقرت عليها ، دون عليها
أسماء أصحابها . وقد اختلف الباحثون الذين بحثوا في خصائص النحت البارزة على
هذه التماثيل في تقدير عمرها ، فذهب بعض منهم الى أنها ترجع الى القرن
السادس أو الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وذهب بعض منهم الى أنها ترجع الى
القرن الأول قبل الميلاد ، بينما رأى آخرون أنها من نحت القرن الأول بعد
الميلاد .

وهناك تماثيل صغيرة لرجال ونساء وأطفال بعضها من حجر وبعضها من معدن
تكشف لنا عن عادات وتقاليد المجتمع في ذلك العهد . في مثل الكشف عن الخلي
التي كانوا يحلون بها جيد المرأة وعتقها ، أو التي تحلى بها الأيدي أو الأرجل ،
كما تكشف بعضها عن ملابس المرأة والرجل والأطفال في تلك الأوقات ، ولهذا
فإن لهذه التماثيل أهمية كبيرة لا من الناحية الفنية حسب ، بل من الناحية التاريخية
أيضاً لأنها تتحدث عن العوائد الاجتماعية كذلك .

وتعبر بعض شواخص القبور عن شعور الحزن والأسى في نفس من أمر بحفر

تلك الشواخص أو نحتها . فقد حرص صانعيها على أن تكون معبرة عن المناسبة التي عملت من أجلها على أكمل وجه . وأكملها برموز وإشارات دينية لها صلة وعلاقة بالحياة الثانية ، وتزيد في فوائدها هذه الشواخص بالنسبة لعامل الباحث ، التماثيل التي وضعت مع الميت في قبره ، لتعبر عنه . فهي تعبير آخر عن هذا الشعور المؤسف في شكل آخر من أشكال الفن .

وقد كانت العادة آنذاك ، دفن تماثيل مع الموتى ، أو صوراً محفورة على الصخر ، فقد عثر في مصر وفي الحجاز وفي بلاد الشام على مثل هذه التماثيل مدفونة في القبور ، على مقربة من الأجداد . بعضها تماثيل رجال وبعضها تماثيل أطفال ، ومن النادر تماثيل نساء ، ولعل ذلك بسبب النظرة الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العهد ، من إعطاء الأولوية للرجل في المجتمع ثم للأولاد الذكور .

ونرى في هذه الصورة رأس رجل عربي جنوبي ، حفر النحات عيني الرجل حفراً ، وجعلها واسعة ، فبدت وكأنها قد قلعنا ، وأوصل للحية بشعر الرأس ، حتى أحاط الشعر بالرأس والوجه ، وصار كأنه هالة . أما القم ، فصغير مفتوح ، ولم يتمكن النحات من حفره حفراً يقارب الطبيعة ، ولم يتمكن كذلك من إبراز معالم الأنف . أما الجبين فأملس ، وأما الوجنتان ، فمساوان كذلك ، وأما الحجر المنحوت ، فن الرخام .



وإذا قارنت هذا التمثال والتماثيل العربية الجنوبية بالتماثيل اليونانية ، أو بالتماثيل اليونانية التي عثر عليها في جزيرة (فيلكا) في الكويت ، تجد فرقاً عظيماً من النواحي الفنية : فالفنان اليوناني له إدراك عظيم للقيم الفنية ، له قدرة عظيمة على

لإبراز الملامح ، وفي تقدير النسب بين الملامح وأعضاء الجسد ، ثم هو متمكن تماماً من كيفية إظهار الحاجبين وحفر الأنف ، وإبراز العينين . ومع مرور مئات السنين على الفن اليوناني، فإنك تستطيع أن تجد فيه حتى يومنا هذا الإبداع والجمال والاتساق والانسجام . خذ هذه الصورة ، التي هي تمثال من الطين المحروق ، عثر عليه في جزيرة فيلكا ، ويعود عهده إلى حوالي (٢٠٠) سنة قبل الميلاد ، ثم قارنه بصور التماثيل التي عثر عليها في العربية الجنوبية ترى فرقاً كبيراً جسداً بين الفنين .



تمثال من الطين المحروق من
القلعة اليونانية حوالي ٣٠٠ ق م٠ من
جزيرة فيلكا .

ولكننا نجد مع ذلك في الفن العربي الجنوبي ، محاولة تستحق التقدير ، تظهر في طموح الفنان العربي الجنوبي ورغبته جهد إمكانه في اظهار شخصيته ومواهبه الفنية ، وهو لو وجد التقدير الذي كانت يظهره اليونان للفن ، لأبدع ولا شك ابداعاً كبيراً في عمله الفني .

وقد عبر الفنان العربي الجنوبي عن مشاعره بطريقة أخرى ، هي طريقة الحفر على الحجر أو المعدن أو الخشب أو أية مادة أخرى يمكن الحفر عليها . وذلك بطريقتين : طريقة الحفر أي نقش الصورة أو ما يراد تخليده أثره على المادة حفرًا كأن تحفر صورة إنسان أو حيوان حفرًا عليها بأن تجعل معالم الصورة محفورة حفرًا عميقًا نازلاً في تلك المادة . فالحفر في هذه الحالة هو رسم محفور . وطريقة الحفر البارز ، وذلك يجعل الأثر المراد تخليده بارزاً ظاهراً فوق سطح المادة التي حفر عليها . وذلك بأن يؤشر معالم ما يراد تخليده ويرسم ، ثم يحفر ما حوله من سطح المادة التي رسم عليها ، فتبرز الصورة وترتفع بهذا الحفر عن سطح تلك المادة .

وعثر على عدد من تماثيل الحيوانات ، نحتت من المرمر ومن أحجار أخرى فعثر على تمثال بقرة ، وعثرت بعثة (وندل فيليبس) على تماثيل ثيران في خرائب مأرب . كما عثر بعض الباحثين على تماثيل أسود أو خيل . وقد تمكن الفنان من التعبير عن موهبته الفنية في بعض المنحوتات ، وأجاد في إبراز مظاهر بعض أعضائها جسم تلك الحيوانات التي نحتها . وقد وصلت بعض هذه التماثيل وهي مهشمة ، وقد فقدت بعض منها بعض أجزاء جسمها ، فأضاع هذا فقدان على الباحثين إمكانية إعطاء رأي في علمي عن هذه المنحوتات .

ومن الصعاب التي اعترضت (الفنان) العربي الجنوبي مسألة التعبير عن الحركات ، ورسم الأشياء المتجاورة ، والتمييز بين البعيد والقريب ، والتفريق بين المنازل الاجتماعية ، كالسيدة المصونة صاحبة البيت وبين خادمتها . وهي مشكلات تواجه كل فنان، ولا يتغلب عليها بالطبع إلا من له قدرة وعلم بالتصوير والنحت . ومن جملة النواقص التي نلاحظها على الصور المحفورة أن أكثر القطع المحفورة لم تتمكن من التنسيق بين وضع صاحب الصورة . فبينما نجد الوجه مثلاً وهو متجه إلى الأمام ، كأن صاحبها ينظر إليك ، نرى الساقين والتقدمين جانبيين وهذا الوضع لا يتناسب بالطبع مع وضع القسم الأعلى من الجسم .

وقد نشأت عن صعوبة التعبير عن الأشياء المتجاورة، مثل رسم ثورين متجاورين يجران محراثاً ، أو فرسين مربوطين معاً في محراث، مشكلة لم يتمكنوا من التغلب عليها ، فلبجأوا إلى طريقة بدائية في الغالب ، يتحدث وضعها عن هذا العجز ،

هو رسم أحد الحيوانات مثلًا ، وكأنه تحت الحيوان الثاني المجاور له ، وذلك كما نرى في الصورة التي تمثل فلاحاً بحرثه ويجرّ محراثه ثوران ، فوضع الفنان الثور الجانبي الأيمن فوق الثور الجانبي الأيسر ، ظاناً ان ذلك قد عبر عن هذا الوضع ، فبدأ الثوران وكان أحدهما قد ركب الآخر^١ .

وقد عثر على لوح يمثل وجه انسان مستدير ، رسم كأنه مع الجبين دائرة كاملة . وقد حفر الشعر على صورة قوس يكاد يحيط بالوجه إلا الحنك ، وقد برز الشعر متموجاً ، وقد فصلت بين الأمواج قواطع جعلت الشعر خصلًا . أما العينان فصغيرتان بالنسبة الى الأنف . وبدا الفم مقفلاً وقد حلق صاحب الرأس ذقنه ، وترك له شاربين طويلين يتصلان بالشعر المتدلي من الرأس . أما الأذنان فقد اختفتا تحت الشعر ولا أثر لها في الصورة . والرقبة غليظة وقد أحاطت بها حيطان ارتفعتا الى أعلى على هيئة قوس . ويظهر في هذه الصورة أثر الفن الساساني^٢ .

وقد عبر النحات عن تجعد شعر الرأس بحفره بصورة تشعرك انه يعبر عن شعر متجعد . وذلك بإحداث ثغرات تظهر الشعر وكأنه عقد ، وقد جعله متدلياً الى الكتفين ، أو نازلاً على الجبين حتى الحاجبين ، ولأجل أن يريك العينين وكأنهما في صورة طبيعية وضع أحجاراً ملونة أو أصباغاً في بعض الأحيان على باطن العين لتظهر التمثال وكأنه بعينين حقيقتين تنظران الى الأشخاص^٣ .

وحال حفر الأزهار وعناقيد العنب ورؤوس الحيوانات وبعض الكروم هي خير من حيث الإجادة من تصاوير الإنسان أو الحيوانات كاملاً . وقد عثر على قطع رسمت فيها التيوس وهي من الحيوانات الكثيرة في اليمن ، وقد رسمت بصورة تتمثل فيها القوة والحيوية^٤ .

وقد استعمل العرب الجنوبيون الكروم كثيراً للزخرفة ، ولا يستبعد ذلك منهم فالكروم من النباتات المحبوبة الكثيرة في اليمن . وقد درت عليهم أرباحاً طائلة واستعملت للأكل وللشرب . وهي تعطي نبيذاً طيباً وخبراً مشهوراً . فلا غرابة إذا

Handb. der altar. alter. I, S. 167. ١

Hand. der altear. alter. I, S. 168. ٢

Araben, S. 274 f. ٣

Handb. der altar. alter. I, S. 168, A. Grohmann, Göttersymbole, S. 60. ٤

ما استعملوه بكثرة للزينة ، يحفرون صورهم في اطارات الألواح أو الصور ، أو يكسبون صورهم في الجبس .

وعثر على قطع فنية نفيسة ، من الحجر النفيس الغالي المحفور، أي من الأحجار الكريمة ، حفرت عليها صور ذات صلة بالأساطير الدينية ، مثل القطعة النفيسة المحفوظة في المتحف البريطاني ، ويظهر أنها من صنع فتان قتباني ، حفر عليها أيلين أو وعلين وقد وقف كل واحد منها على جانب، وقفا على القدمين الخلفيتين ورفعا القدمين الأماميتين الى أعلى ، وصور النحات القدم المقابل للشخص الذي يقابل القطعة أو ينظر إليها وقد عقف ، أي بوضع منحني . أما القدم المقابل للقدم المعقوف ، فلم يتمكن النحات من اعطائها الوضع الصحيح . ونجد رأسي الحيوانين وقد اتجها الى الداخل ، فكأنهما يريدان الكلام مع بعضهما أو الالتقاء ، ولاظهار قرني الحيوانين معقوفين ، نحت النحات عليها نحوثاً على شكل (الجزر) ، أو الورق الرفيع . ووضع للحيوانين ذيلين قصيرين ، وقد جعل آلة الذكر للحيوانين منتصبين . وجعل تحت القدم المرتفع لكل حيوان رمزاً ، له فم مفتوح متصل برقبة أو بجسم ينتهي بدائرة صغيرة ، ثم بما يشبه كرة قائمة على ثلاثة أرجل . ووضع بين الحيوانين (طغراء) قراءته : (اب عم) ، (ابي عم) ، أي (أبا) (عم) إله قتبان^١ .

وبين الأحجار الكريمة المحفورة التي عثر عليها في خرائب اليمن، أحجار أصلها من العراق ومصر ومن أحجار يونانية من أيام القياصرة ومن العصور الهلينية ، وقد نحتت على بعض منها حروف بالمسند المعبرة عن بعض المعاني الدينية أو عن أسماء أصحابها^٢ . وهي تستعمل خاتماً في الأصابع ، وتحتم بها الوثائق والرسائل .

وقد وضعوا (الدُمى) على ألواح الأبواب ، إما للزينة ، وإما لدفع الشر والأذى أو للتبرك والتقرب . وقد قيل ان (الدمية) الصورة المصورة أو الصنم^٣ . وقد عرفوا (الدُمى) بالصورة وبالصنم وبالصورة المنقشة بالعاج ، ونحوه . وعرفوها أيضاً بالصورة المصورة لأنها يتأق في صنعتها ويبالغ في تحسينها^٤ .

١ A. Grohmann, Göttersymbole, 56, Abb. 141, A. Grohmann, S. 241.

٢ A. Grohmann, S. 242.

٣ البرقوقي (ص ٢١٩) .

٤ اللسان (٢٧١/١٤) .

وقد اتخذ العرب الجنوبيون من الحجر أثاثاً لهم ، فتحثوا منه أسرة وعروشاً .
وقد عثر على قطع من المرمر ، هي من بقايا عروش أو كراسي عملت لبعض
الأغنياء . وعثر على كراسي مصنوعة من أحجار أخرى . كما عثر على صناديق
صنعت من حجر ، وقد زوّقت واجهاتها وزخرفت وحفرت عليها بعض الصور
التي تمثل الأوراق والنباتات والأزهار والنوافذ أو واجهات البيوت^١ .

واتخذوا من الحجارة مذابح Altars . وللمذابح مكانة في الطقوس الدينية ورسوم
العبادة عند الجاهليين . ويقال لها : (مذبحت) و (مذبح) و (حردن) .
تذبح عليها حيوانات كبيرة مثل ثيران . وقد عثر على نماذج منها في مختلف
المعابد^٢ . وقد زين بعض منها وزخرف بصور حيوانات حفرت عليها أو نحتت
كما حفرت عليها رموز لها علاقة بالعبادة والآلهة . وهي تفيدنا من هذه الناحية
في الوقوف على فن الزخرف والنقش وعلى كل ما له من علاقة بالحياة الدينية
عند الجاهليين .

وللمباخر والمجسامر والمحارق أهمية أيضاً بالنسبة لمن يريد الوقوف على الفن
الجاهلي . وقد عرفت المحارق بـ (مصرب) و (مشود) . وهي مواضع لحرق
ما يقدم الى المعبد من ضحايا عليها^٣ . وعرفت المجامر بـ (مسلم) ، وأما
المبخرة ، فهي (منطر)^٤ . وقد عثر على نماذج عديدة منها . وقد صنعت من
مواد مختلفة من مرمر ومن معادن . مثل البرنز أو الذهب أو الفضة . وقد تقفن
في صنعها ، وبعضها مفتوح ليس له غطاء ، وبعض آخر له غطاء . وقد نقش
على بعض منها اسم الطيب الذي يحرق بالمجمرة ، واسم صاحبها والمعبد أو الإله
الذي خصصت به .

ولم يصل إلينا ويا للأسف من مصوغات الذهب والفضة شيء كثير . والصياغة
صناعة اشتهر بها العرب الجنوبيون ، حتى بالغ في ذلك بعض الكتاب اليونان ،
فأشاروا الى أوانٍ وأثاث وأدوات منزلية أخرى مصنوعة من الذهب والفضة^٥ .

A. Grohmann, S. 243.

Arabien, S. 247 f.

Arabien, S. 248. Rep. Epig. 4708, 4839.

Arabien, S., 248, A. Grohmann, Südarabien als Wirtschaftsgebiet, I, 115. f.,

C. Thompson, The Tombs and Moon Temple of Hureidha, 49.

De Mari Erythraeo, 2, Strabo, XVI, 778, Handb., I, S. 171.

ولكننا لم نر شيئاً مما ذكروا ، ولم يروا هم ذلك أيضاً بالطبع ، وإنما رووا ذلك عن طريق السماع .

ويعرف الذهب بـ (ذهب) في العرييات الجنوبية . وأما الفضة ، فيقال لها (صرف)^١ . وقد وردت أرض (شبا) في جملة الأماكن التي مونت العبرانيين بالذهب ، حمله اليهم تجار (شبا)^٢ .

وترد في الكتابات جمل مثل : (قدم تمثالاً من ذهب) ، مما يدل على أن العرب الجنوبيين كانوا ينلدرون الى آهنتهم إن منت عليهم وأجابت طلبهم بأن يقدموا لها نذراً هو تمثال من ذهب . غير أن الباحثين لم يعثروا حتى اليوم إلا على عدد محدود من تماثيل صيغت من ذهب ، بل عثروا على تماثيل من البرنز . لذا ذهب بعضهم الى ان العرب الجنوبيين قصدوا بكلمة (ذهبن) ، أي (الذهب) ، معدن البرنز ، وذهب بعضهم الى أنهم قصدوا معادن طليت بماء الذهب^٣ .

وفي جملة ما هو محفوظ من أعمال الصاغة ، قلادة جميلة من الذهب عثر عليها في خرائب مدينة (تمنع)^٤ سبق أن وضعت صورتها قبل صفحات . وقلائد أخرى وصفائح من الذهب حفرت عليها صور بعض الحيوانات . كما عثر على معادن مطلية بطبقة من ذهب^٥ .

وقد وصلت قطع فنية نفيسة مصنوعة من المعادن ، تدل على ذوق عال وعلى مهارة في الصناعة واتقان . من ذلك مصباح يضيء بالزيت ، مصنوع من البرنز يتكوى على قاعدة . أما موضع الزيت ، فينسب انسياً جميلاً ، وقد صنع بشكل متناسق ، وارتفع فوق المصباح من الطرف العريض تمثال (ايل) جميل جداً ربطه بالمصباح حزمة انفتحت عند اتصالها بالمصباح على هيئة أصابع يد . فلما ارتفعت ، اتصل بعضها ببعض على هيئة ضفيرة ، الى موضع اتصالها بالأيل . وقد انكسرت يدا الحيوان وكانت ممتدة . أما الرقبة والرأس والقرنان ، فقد صنعت بدقة ومهارة ، وعلى الجملة ان القطعة تدل على تطور كبير في فن الصناعات اليدوية عند العرب الجنوبيين ، وذلك كما نراه في الصورة المذكورة .

Rhodokanakis, Stud., II, S. 167.

حزقيال : الاصحاح السابع والعشرون ، الاية : ٢٢ .

A. Grohmann, S. 230.

W. Phillips, Qataban and Sheba, p. 114.

A. Grohmann, S. 242.

ونرى في قطعة أخرى مصنوعة من البرنز فناً وخيالاً ، نرى رجلاً قد وضع على رأسه غطاءً يشبه الخوذة ، وأمسك يديه أسدين ، فاليد اليمنى أمسكت بيد أسد ، واليد اليسرى أمسكت بيد الأسد الآخر وقد أدار الأسدان رأسيهما إلى الجانبين ، وكأنهما يتلوحيان من شدة القبض عليهما ، وإن كانت لا تمثل أجزاء الأجسام تمثيلاً كاملاً ، تعطي انطباعاً حسناً ، وتعبر عن الفكرة تعبيراً طيباً^١ . وهناك قطعة مصنوعة من البرنز كذلك ، تمثل منظرًا رمزيًا : ففي الوسط راقص يشبه شكله شكل الشيطان في الأساطير ، وقد اتصل فوق رأسه ، وعلى الغطاء عمود يحمل طيراً ماداً جناحيه . ويقابل الطائر أيلان ، انتصب كل أيل على جانب من جانبي الطير ، وكأنهما يتقاتلان، ويحمل الأيلان حيوانين^٢ . ونرى في هذه الصورة تمثالاً من البرنز لثور يرمز إلى الإله القمر ، وقد عثر عليه في (ظفار) .



تمثال مصنوع من البرونز يمثل
اله القمر عثر عليه في ظفار .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٥)

Handb., I, S. 172.

١
٢ راجع الصورة المرقمة ٦٨ والمنشورة على الصفحة ١٧٢ من كتاب :
Handb., I, S. 172.

ونرى في هذه الصورة تمثال رجل صنع من النحاس : تظهر على شعر رأسه تنوعات بارزة كأنها الخرز ، ربما تمثل زينة ، أو تعبر عن شعر صاحبها المتموج . أما الوجه ، فلا يمثل وجه أهل اليمن ، بل كأنه يمثل وجهاً لـ (بوذا) ، أي وجهاً متأثراً بالفن الهندي الصيني القديم . الأنف فيه ضخمة ، والفم كبير ، وقد غطى الجسم بقميص له رأس يغطي الرقبة ويصل إلى الخنك ، وتجد القميص مفتوحاً تحت الخصر ، وأما أعلى القميص فمغلق ، وقد شد على الخصر (خنجر) مستقيم ، على طريقة أهل اليمن في حمل الخنجر إلى هذا اليوم ، وقد مدت اليد اليمنى إلى أعلى ، وظهرت أصابع الكف واضحة مفصلة . أما اليد اليسرى ، فقد مدت إلى أعلى قليلاً ، وكفها مقبوض ، مكرّراً ثقباً ، يظهر أنه صنع لوضع عصا في الثقب ، أو شيئاً آخر يرمز إلى سيادة وامتزلة اجتماعية . ونجد الجسم لا يتناسب مع ضخامة الرأس والكتفين ، فهو ضئيل ضعيف . ونجد الأذن صغيرة بالنسبة إلى الرأس . وقد وضعت في مقدم الشعر . ونرى أن الوجه حليق ، مما يدل على أن



بعض الناس كانوا يحلقون شعر أوجهم في تلك الأيام . وأما الرقبة فغليظة^١ .
وهناك قطع أخرى هي عبارة عن تماثيل بشر أو حيوانات مثل حيات أو
جمال أو خيل أو جردان وأمثال ذلك ، وقد صنعت من البرنز كذلك ، بعضها
في غاية الجودة والاتقان . ومن بين هذه القطع المتقنة عصا انتهى طرف منها على
هيئة أفعى ، نرى فيها الأناقة والرشاقة ، وعصا أخرى رأسها على هيئة حية
وقد تدلى الى أسفل . والقطعتان من الصناعات المتأخرة ومن أواخر أيام دولة
حمير^١ .

وبين القطع القديمة المصنوعة من البرنز ، تمثال رجل ماش يبلغ ارتفاعه (٩٣)
ستمترًا ، رجله اليسرى متقدمة على اليمنى ، ويرى القسم الأعلى من الجسم عارياً
إلا من جلد أسد أو فهد لف على الظهر ، ويتصل طرفاه بالصدر . أما الوركان
فقد غطيا بمزتر شد على الجسم بحزام عريض . وقد جعل المثال الرأس وكأنه
قد غطي بخوذة مجمدة ، كناية عن الشعر ، وقد تدلى على الجبين . ووضع شيئاً
أشبه بالريشة للمحافظة على الشعر ، وجعل للرجل لحية عبر عن تجاعيد شعرها
بعقد . وجعل العينين واسعتين ، أما الأنف فكبير ملتحم ، وأما القم فصغير .
وأما الجسم عموماً ، فهو نحيف . وقد عثر على هذا التمثال في المدخل المؤدي الى
(حرم بلقيس)^٣ . ويرى بعض الباحثين أنه يعود الى القرن السابع أو السادس
قبل الميلاد . وأن صاحبه كان من كبار الموظفين في أيامه ، وربما كان بدرجة
حامل أختام الملك أو كاتم أسراره ، وقد قدم التمثال تقربة ونذراً الى الإله
(المقة) . ووجد اسم صاحبه مدوناً على الكتف الأيسر منه ، وهو (معدكرب)
(معديكرب)^٤ .

وبين التماثيل المصنوعة من البرنز تمثال امرأة وهي ترقص ، وقد لبست فستاناً
طويلاً يمتد على سروال ، وكأنه يمثل الزي الفارسي القديم ، المعروف في العراق ،

1 Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 270.

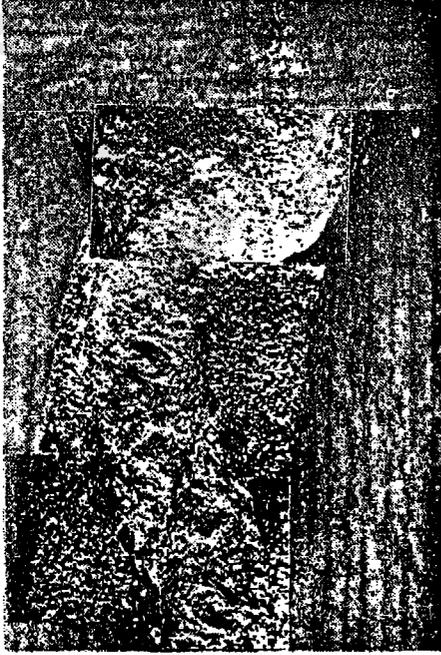
2 Handb., I, S. 173.

3 A. Grohmann, S. 232.

4 Jamme, Sabaean Inscriptions on two Bronze Statues from Marib, JAOS,

77, 1957, 32, 35, A. Grohmann, S. 232.

وقد أبدع صانع التمثال في عمله فجعله حياً ينبض بالحياة ، وقد ضيق خصر المرأة ، وجعل الساقين بعضهما فوق بعض ، ليأخذ جسمها وضع راقصة وهي في حالة رقص ، كما ترى في هذا التمثال .



تمثال من البرونز لراقصة ، عشر عليه في ظفار .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٥)

ونجد في مصنوعات المعادن مصنوعات تتحدث عن وجود أثر عراقي عليها ، ومصنوعات أخرى تشير الى وجود أثر مصري أو يوناني أو هندي عليها . وقد نسب بعض الباحثين وجود هذا الأثر الى الصلات التجارية التي كانت تربط بين الأرضين المذكورة وبين العربية الجنوبية ، كما نسبه الى أثر الرقيق المشتري من تلك البلاد والمستورد الى العربية الجنوبية ، حيث كلف بأداء الحرف اليدوية . وحيث أن هذا الرقيق كان من بلاد مختلفة، لهذا ظهر التنوع في هذه الصناعات . ومن المصنوعات البرنزية التي يظهر عليها أثر الفن اليوناني مجموعة التماثيل التي

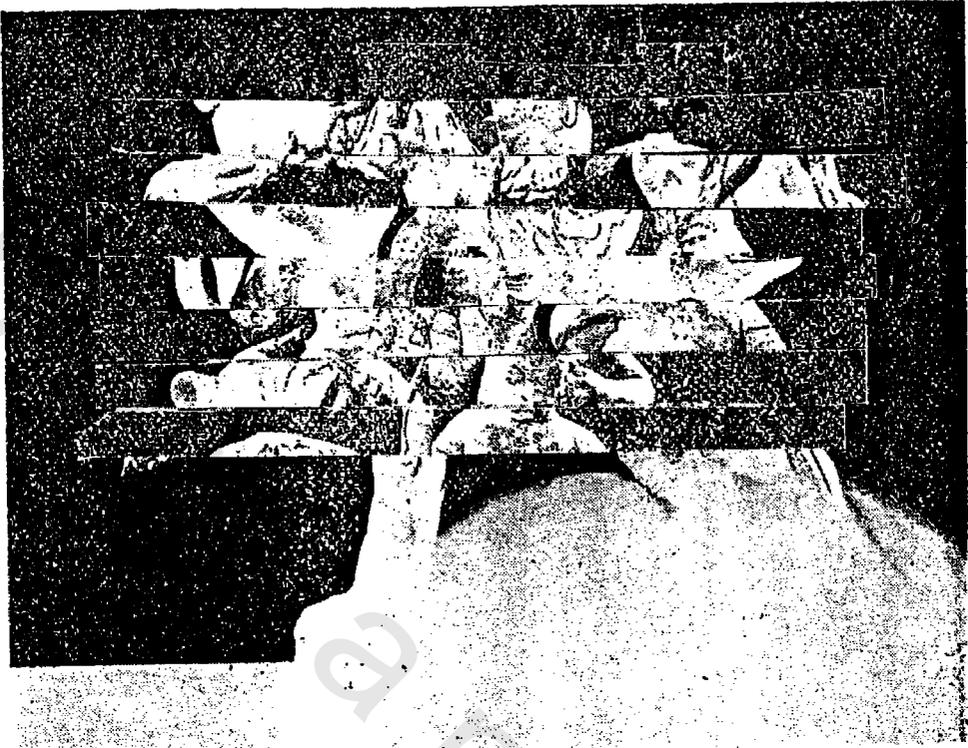
عثر عليها في بيت (يفش) في خرائب (تمنع)^١ ، وتمائيل أخرى حفظت في متحف (صنعاء) . وتمثالين لزنيجيين عثر عليها في موضع (نخلة الحمراء) (نخلة الحمراء) على مسافة خمسين كيلومتراً جنوب شرقي (صنعاء) . وتمائيل أخرى لبعض الحيوانات ، مثل تمثال حصان وتمثال آخر لأسد .

والتماثيل البرونزية التي عثر عليها في بيت (يفش) بمدينة (تمنع) ، هي من الآثار المهمة التي عثر عليها في أرض قتبان . ونظراً للأثر (الهليني) البارز على جسم الأسد وعلى وجه راحبه المحافظ على الملامح اليونانية يرى الباحثون أنها من القطع الفنية التي ربما يعود عهدها إلى القرن الأول للميلاد ، حيث كان اليونان إذ ذاك يعمخرون عباب البحار ، وكان تجارهم ينقلون المصنوعات اليونانية إلى مختلف الأنحاء من العالم ، لبيعها ولشراء ما يحتاجون إليه من النفائس التي لا توجد في بلاد اليونان وفيما وراءها . والظاهر أن الفنانين العرب ، وقفوا على قطع فنية يونانية ، فقلدوها و عملوا على صنع مثلها، وقد ضربوا على القاعدة الحروف المسندة ، الدالة على صاحب البيت . ومن هذه التماثيل تمثال أسد ، امتطى على ظهره ولد بيده اليمنى لجام ، وبيده اليسرى شيء يشبه القفل ، وقد صنع الأسد وكأنه يريد الوثوب ، وذلك كما تراه في الصورة . وقد قدر تأريخ صنعه فيما بين السنة ٧٥ و ٥٠ قبل الميلاد . ومنهم من يجعله بعد ذلك، أي في القرن الأول للميلاد^٢ .

وقد تبين من هذه التماثيل أن العرب الجنوبيين ، كانوا يتعلون نعالاً على نحو أنعلة هذا اليوم ، وهي سميكة لتقاوم الأرض فلا تأكلها عند المشي ، كما تبين لنا من دراسة هذه التماثيل أن بين ملابس العربية القديمة قبل الإسلام وبين ملابس العرب في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية في الوقت الحاضر تشابه كبير . ومن الممكن في هذا اليوم عمل دراسة عن ملابس العرب الجنوبيين بالاستعانة بهذه التماثيل وبالصور المحفورة على الأحجار ، التي تمثل مختلف طبقات المجتمع في ذلك العهد .

Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, I, 155, ff., B. Segall, 1
Sculpture from Arabia Felix, The Hellenistic Period, AJA, 59, (1955), 210. ff.,
Grohmann, S. 234.

Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 155. ٢



تمثال الاسد وعليه طفل • وقد أخذت الصورة من كتاب : Qataban and Sheba
• لمؤلفه ونادل فيليبس (ص ١١٢)



تمثالان صنعا من البرنز ، ويرى على التمثال أثر الفن « الهيليني » واضحا بارزا •
من كتاب : Qataban and Sheba (ص ١٨٩)

أما الخشب المزخرف ، فهو وجه آخر من أوجه الفن وأضرابه ، وقد استعمل في البناء وفي أثاث البيت وفي صنع التماثيل والألواح المكتوبة وفي أغراض أخرى . وقد عثر المتقنون على نماذج منه . ولما كان الخشب معرضاً للتلف والهلاك أكثر من المعدن والحجر ، لذلك فإن يد الطبيعة قد لعبت بالكثير منه ، كما استعملته يد الإنسان قبل الإسلام وبعده في أمور أخرى غير الأمور التي خصصها أصحاب تلك الأخشاب لها ، لذلك زالت معالم الكثير منها ، واستعمل بعض منه في الوقود وفي أعمال البناء . ولا زلنا لا نملك نماذج من الأثاث المعمول من الخشب ، مثل صناديق لحفظ الألبسة والأشياء الأخرى التي تحتاج إلى حفظ، وسرر منامة وكراسي وغير ذلك مما يستعمله الإنسان في حياته من مصنوعات الخشب .

إن الفنان العربي الجنوبي حاول جهد طاقته إظهار شخصيته في أعماله الفنية ، وهو وإن كان قد حاكى غيره وقلده في بعض الأمور ، غير أنه نجح في إعطاء فنه صورة المحيط الذي عاش فيه . فرى السحنة اليبانية على وجوه بعض التماثيل ، ولا سيما في أوجه الرجال. ونجد الطابع العربي الجنوبي يبرز على بعض المصنوعات. وسوف يزداد علمنا ولا شك في المستقبل بالفن العربي الجاهلي في المستقبل حين تبدأ الأحوال وتقوم البعثات العلمية بالحفر العلمي المنظم في جزيرة العرب ، وربما يعثر على أعمال فنية تغير وجهة نظر العلماء المكتوبة عنه في هذا اليوم .

وأما الحديث عن الفن في الحجاز قبل الإسلام ، فحديث مقتضب مختصر ، لأن البحث العلمي لم يبدأ هناك حتى الآن . فاقصر علمنا عنه على ما ورد في الموارد الإسلامية وحدها . وما ورد في هذه الموارد هو إشارات عارضة ذكرت عرضاً في أحوال لا علاقة لها بالفن بل في البحث عن أمور أخرى ، مثل : فتح مكة ، حيث أشير إلى وجود تصاوير وأصنام في الكعبة ، أمر الرسول بطمسها وإزالة معالمها وبكسر كل ما كان هناك من أصنام، ومثل ما جاء في كتب الحديث والفقه عن (الصور والتماثيل) في باب النهي عنها في الإسلام . وذلك يدل على أن بعض أهل مكة وسائر مواضع الحجاز الأخرى ، كانوا يضعون الصور والتماثيل في بيوتهم ، وأن طائفة من الناس كانت تصور وتعيش من بيع الصور . وأن طائفة أخرى كانت تنحت وتعمل التماثيل ، وأن طائفة من النساجين والحياطين كانوا يجعلون صور إنسان أو حيوان على الستائر أو الملابس لتزيينها ، فنهى عن

ذلك الاسلام .

ونحن لو أخذنا بروايات أهل مكة عن بناء الكعبة ، خرجنا منها على أن الكعبة لم تكن عند ظهور الاسلام وبعد تعمیرها الأخير قبل البعثة ، شيئاً يذكر من ناحية الفن والهندسة المعمارية ، فهي لم تكن سوى بيت مكعب ، تحيط بحرمه البيوت ، ولم يكن الحرم واسعاً وله سور ، وإنما كان ساحة مفتوحة تتجاوز عليها أهل مكة ، فأدخلوا جزءاً منها في بيوتهم ، ولذلك اضطر الخلفاء إلى توسيعها ، بشراء البيوت المجاورة وهدمها لاعادة ادخالها في الحرم . ونحن لا نجد اليوم أثراً باقياً على وضعه وحاله من آثار الجاهلية سوى (الحجر الأسود) ، وبئر زمزم ، أما الأشياء الأخرى مثل الكعبة ، فإنها من بناء الاسلام .

أما بيوتها ، فلا علم واضح لنا عنها ، لأن أهل الأخبار لم يتحدثوا عنها حديثاً فيه إفاضة ، وقد ورد في خبر إساءة الجوار لرسول الله ، أن رسول الله كان يجلس تحت ظلة أمام باب داره ، فكان جيرانه يرمونه بالحجارة ، مما يدل على أنهم كانوا يبنون ظلالاً على أبواب بيوتهم يجلسون تحتها على (دكة) ويستظلون بها من حرارة الشمس حين وقوفهم أمام الباب . ولا بد وأن تكون بيوت تجار مكة ، من حجارة وكلس ، وقد تكون من طابقين أو أكثر ، ولكن الأخبار لا تتحدث بحديث مفصل عنها .

وفي أعالي الحجاز ، آثار من بقايا أبنية ومن تماثيل وكتابات مكتوبة ومن تصاوير نقشت على الصخور ، تعبر عن حالة النقاش الذي نقشها ، وهو من الأعراب . وفي جملة الصور مناظر إنسان يصيد غزالاً ، أو يجاهد في قتل أسد أو حيوان مفترس ، أو فارساً قد امتطى ظهر فرسه : أو مناظر قطعان حيوانات وحشية أو أليفة ، وما شاكل ذلك من مناظر تمر على عيون الرعاة . وبعض هذه الصور مما يعود عهده إلى ما قبل الميلاد . وهي تستحق الدرس وتوجب على عشاق الفن دراسة النواحي الفنية والتعبيرية في هذه الصور المرسومة على الأحجار والصخور . وفي المتحف البريطاني حجر ، رمز إليه بـ B. M. 120928 كتب عليه بالحروف الصفوية (هف زين بن أحرب) أي (هذا لزبان بن أحرب) . وقد حفر صورة جمل تحت الكتابة ، جعله لاعباً بذنبه ، وله سنام ضخم لا يتناسب حجمه

١ تنوير الحوالك (٢ / ٢٤١) ، تاج العروس (٤ / ٤٢٣) ، (قصص) .

مع جسم الجمل ، وله رقبة ورأس ، أقرب إلى رقبة الزرافة ورأسها من رأس ورقبة الجمل . ولكن الرسم لا بأس به بصورة عامة ، إذا أدركنا أن رسمه من الأعراب الذين عاشوا قبل الإسلام .

ونجد في الأحجار الصفوية الأخرى ، صور فرسان ، وهم يتحاربون ، أو يتسابقون ، وصور خيول وحيوانات أخرى . وبعض هذه الصور في غاية من الاتقان والإبداع ، وبعضها تمثل فناً بدائياً ، لكنه يعبر عن وجود قابليسة لدى راسمي هذه الصور الذين كانوا أعراباً يتنقلون في البوادي ، وهم مع ذلك كتبة ، لأننا نجد أسماء من رسم هذه الصور مكتوبة تحتها أو حولها لتدل عليهم .

وأما العربية الشرقية ، فقد عثرت البعثات التي نقيت بها على أعمال فنية عديدة ، وقد عثر في (أبو ظبي) وفي أماكن أخرى من الخليج على آثار لم تكن معروفة من قبل . وقد أشرت في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب إلى عثور المنقبين عن الآثار على آثار مهمة في البحرين وفي جزيرة (فيلكا) من جزر الكويت ، وهي



منظر المعبد الهيليني بعد تنظيفه ، وهو في جزيرة فيلكا وهو من منشورات قسم المتاحف والاثار بدولة الكويت

تشير الى أثر الاختلاط الذي كان بين الهند ، وفارس والروم والعراق وبين سكان الخليج ، قبل الميلاد بعهود طويلة . ولا بد وأن تنبت في هذه الأرضين حضارة مختلطة ، لأنها على ساحل بحر ، وعلى طريق يعتبر من أهم طرق العالم في التجارة وفي المواصلات الدولية في القديم وفي الحديث .

وفي جملة ما عثر عليه في جزيرة (فيلكا) بقايا معبد يوناني ، بناه جنود الاسكندر حين أقاموا واستقروا بها ، وقد تمكنت البعثة (الدانماركية) التي نقتبت في هذه الجزيرة من العثور عليه ، ونظفت ساحته حتى ظهر على هذه الصورة التي تراها في الصفحة السابقة .

وفي جملة ما عثر عليه في جزيرة (فيلكا) نقود تعود الى أيام (السلوقيين) خلفاء الاسكندر ، وآثار اليونانيين الذين أقاموا في هذه الجزيرة منذ جاء جيش الاسكندر لفتح الهند . فاستقر قسم منهم بها وأنشأ معبداً فيها ، عثر في أنقاضه على بقايا أعمدة حجرية استخدمت لرفع سقفه ، يظهر عليها الأثر الهليني بكل وضوح ، وعلى أحجار منقورة مزخرفة وعلى كتابات . وقد استخدم الحجر في أعمال البناء ، كما ترى ذلك في الصورة المأخوذة لموضعه ، بعد تنظيفه وإعادة دائرة



تمثال أفروديت ، ويعود عهده الى حوالي السنة ٢٠٠ قبل الميلاد وهو من منشورات قسم الآثار والمتاحف بدولة الكويت

الآثار والمتاحف في الكويت للأحجار الى مواضعها . كما عثر في هذه الجزيرة على
جرار كثيرة تعود الى العهد البرونزي ، تشبه الجرار الخزفية التي لا زال الناس
يستعملونها في مواضع متعددة من جزيرة العرب .

ومن أبداع ما عثر عليه في هذه الجزيرة ، تمثال صغير من الطين المحروق
يمثل (أفروديت) ، يعود عهده الى حوالي السنة (٣٠٠) قبل الميلاد ،
وهو تاريخ انشاء هذا المعبد ، ومخربشة جميلة ، تمثل شجرة ، يظهر أنها كانت
قد وضعت في أعلى واجهة المعبد . وتمثال رأس الاسكندر ، تحيط به الهالة ،
وتمثال آخر ، صنع من الطين المحروق ، وعدد كبير من الأختام، حفرت عليها
مناظر مختلفة ، فيها صور حيوانات ، يعود عهدها الى القرن الثالث قبل الميلاد .



تمثال رأس الاسكندر تحيط به الهالة
من منشورات قسم الآثار والمتاحف بدولة الكويت

أما عن الفن العربي في العراق ، فنحن لا نستطيع أن نتكلم عنه إلا بإيجاز
محل ، وسبب ذلك ، أن الحيرة التي كانت عاصمة المناذرة ، والتي كانت من
أكبر المستوطنات العربية ، هدمت في الفتح الاسلامي وما بعده لاستخدام طابوقها

وأحشاها في بناء (الكوفة) . فقد بني مسجد الكوفة بأنقاض قصور الحيرة ،
فزالَت بذلك معالم تلك المدينة ، ولم يبق منها أي شيء بتوالي الأيام .

ويظهر من الأخبار الواردة في كتب أهل الأخبار ، أن أهل الحيرة كانوا
يتخذون (إيواناً) في قصورهم ، يعملونه موضعاً يجلسون فيه . عرف بالإيوان
الحيري . وقد كانوا يزخرفون الجدر باستعمال (الآجر) المزخرف . كما كانوا
يطلون الجدر على الطريقة العراقية القديمة بطبقة من (الجص) ، ليظهر أملس
أبيض ، وكانوا يطلون الجدر الخارجية للبيوت بهذه الطبقة ، ومن هنا بدت
مدينتهم وكأنها مدينة بيضاء ، فقبل لها الحيرة البيضاء .

التصوير :

وقد عثر المتقنون والباحثون عن الآثار القديمة على رسوم بشر وحيوان ونبات
نقشها الجاهليون على الصخور والحجارة، يرمز بعض منها الى أمور دينية وأساطير
قديمة . ويعبر البعض الآخر عن مواهب فنية عند حافري هذه الصور ، وعلى
مقدرة تقدر في الرسم ، وعلى وجود ميول فطرية عند أصحابها في الفن ، وفي
محاولة إبراز العواطف النفسية والتعابير بلغة فنية يفهمها كل إنسان ، هي لغة
الرسم والنقش .

وفي أخبار أهل الأخبار ان أهل الجاهلية كانوا يتقربون الى الصور، كما كانوا
يزينون بيوتهم بالصور والنسيج المصور ، كما كانوا يستعملون ستائر ذات صور،
ويلبسون ملابس ذات صور ورسوم . ولما فتح الرسول مكة ، أمر بتحطيم ما كان
بها من أصنام وأوثان . وقد ذكر أهل الأخبار ، انه كانت في الكعبة حمامة من
عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وجد صور الملائكة وغيرهم ، فرأى ابراهيم
مصوراً في يده الأزام يستقسم بها ، وصورة عيسى بن مريم وأمه ، وصورة
الملائكة أجمعين . فأمر الرسول بطمس تلك الصور ، فغسلت بالماء ، ومسحت
بثوب بلّ بالماء ، فطمست ، إلا صورة عيسى بن مريم وأمه ، إذ أمر الرسول
بإبقائها كما تقول بعض الروايات ، فبقيت الى أيام (عبدالله بن الزبير) ، فلما

تهدم البيت ، تهدمت الصورة معه^١ .

وفي شعر (امرى القيس) اشارة الى التصوير . ففي البيت :

بلى ربّ يومٍ قد هوت و ليلة بأنسة كأنها خط تمثال

اشارة الى التصوير . فالخط ، الكتابة والرسم ، والتمثال الصورة ، والصنم ، أي التمثال المجسد . والتماثيل الصور . وقد كانوا يصورون الصور ويرسمونها قبل الاسلام^٢ .

ولكننا لا نملك اليوم صوراً زيتية أو صوراً أخرى مرسومة بالألوان أو بالحبر أو الصبغ الأسود على آدم أو قراطيس ، أو الواح ، فإن مثل هذه الصور لا يمكن أن تعمر طويلاً تحت الأتربة لذلك تبلى ، ولا استبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على مثل هذه الصور ، لما ذكرته من وجود الصور والتصوير عند الجاهليين .

وقد كان الجاهليون يقتنون الصور يضعونها في بيوتهم للزينة ، كما كان هناك مصورون يعيشون من بيع الصور التي يرسمونها ، وصنّاع تماثيل ، ينحتونها أو يعملونها بالقوالب بجعل عجين الجبس فيها ، فإذا جفّ أخذ شكل التمثال ، فبياع . وقد أشير الى التصوير وصنع التماثيل في الحديث ، بمناسبة ما ورد فيه من كره الإسلام للتصوير ، أو تحريمه كما ذهب اليه البعض ، ففقد كرهه في الاسلام تصوير كل ذي روح ، مثل تصوير إنسان أو حيوان ، وكرهه بيع المصورات ، واتخاذ التصوير حرفة يتعيش منها . وقد سأل بعض المصورين (ابن عباس) رأيه في التصوير ، وهي حرفته التي كان يتعيش منها ، فنهاه عنها ، إلا إذا صور شجراً أو شيئاً لا روح فيه . وكانت معيشة هذا المصور من صنعة يده ، يصنع التصاوير ويبيعها للناس^٣ .

-
- ١ الأزرقى (١٠٤/١ وما بعدها) ، السيرة الحلبيية (٨٧/٣) ، ابن هشام ، سيرة (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٢٧٤/٢) وما بعدها ، ابن الاثير (١٠٥/٢) ، نهاية الارب (٣١٣/١٧) ، أمتاع الاسماع (٣٨٥/١) .
 - ٢ الخزانة (٣١/١) ، (بولاق) .
 - ٣ ارشاد الساري (١٠٧/٤) ، (باب بيع التصاوير) .

وقد كانت الوثنية لا تتعارض مع التصوير ، بل كانت تشجعه وتشجع الفنون الجميلة . فقد كانت الأصنام عماد سنتهم ، واليهما كانوا يتقربون ، وكانوا يضعونها في بيوتهم للتقرب اليها والتبرك بها ، كما أنهم لم يكرهوا الغناء ولا الموسيقى ، لما لها من صلة بأعيادها وبالطقوس الدينية .

وقد منع من بيع الأصنام ، أي التماثيل في الاسلام ، كما حرم بيع الصور المتخذة من جوهر نفيس^١ ، وكان بين أهل مكة وغيرها من القرى أناس يتعيشون من بيعها ، ويتفننون في صنعها ، فانت بذلك هذه الحرفة التي هي من الفنون الجميلة ، مثل التصوير .

١ ارشاد الساري (١١٤/٤) ، (باب تحريم بيع المينة والاصنام) .

الفصل العشرون بعد المئة

أمية الجاهليين

الشائع بين كثير من الناس ان العرب قبل الاسلام كانوا في جهالة عمياء وضلالة ، لا يقرأون ، ولا يكتبون ، وان الكتابة كانت قليلة بينهم ، واستدلوا على رأيهم هذا باطلاقهم لفظة (الجاهلية) على ايامهم ، وبما جاء من انهم كانوا قوماً (أميين لا يكتبون) . واستدلوا على ذلك بحديث ذكر ان الرسول قاله ، هو « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب »^١ .

وقد تحدثت في الجزء الأول من هذا الكتاب عن معنى (الجاهلية) ، وعن الآراء التي قيلت فيها ، حديثاً فيه إفاضة وإحاطة ، وقد قلت فيما قلته ان تفسير الجاهلية بالجهل ، الذي هو ضد العلم ، تفسير مغلوط ، وان المراد من الجاهلية السفه والحمق والغلظة والغرور ، وقد كانت تلك أبرز صفات المجتمع الجاهلي آنئذ ، وتحدثت في كتابي : (تاريخ العرب قبل الاسلام) عن معنى الأمية وذلك في اثناء كلامي على أمية الرسول وآراء العلماء فيها من مسلمين ومستشرقين^٢ ، وقلت ان للأمية معنى آخر غير المعنى المتداول المعروف ، وهو الجهل بالكتابة والقراءة . فتمد ذكر (الفرآء) وهو من علماء العربية المعروفين ، ان الأميين هم

١ البيان والتبيين (٢٨/٣) ، الصاحبى (١١/٨) ، تفسير القرطبي (٥/٢) ، البقرة الآية ٨٧ ، اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) ، تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) .
٢ الصفة ١٣٦ وما بعدها .

العرب الذين لم يكن لهم كتاب^١ . ويراد بالكتاب . التوراة والانجيل . ولذلك نعت اليهود والنصارى في القرآن بـ (اهل الكتاب) ، وهذا المعنى يناسب كل المناسبة لفظة (الأميين) الواردة في القرآن الكريم ، وتعني الوثنيين اي جماع قريش وبقية العرب ، ممن لم يكن من يهود وليس له كتاب .

وللعلماء آراء في الأمية ، وذلك لما لها من صلة بالرسول ، ولما كان القرآن قد نعت قوم الرسول بالأميين ، وجعل الرسول أمياً مثلهم، فقد ذهبوا الى ان العرب كانوا قبل الاسلام أميين بمعنى انهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون إلا من شذّ منهم وندر ، وإلا أفراداً من أهل مكة ، زعموا انهم تعلموا الكتابة من عهد غير بعيد عن الاسلام ، ولو أخذنا أقوالهم مأخذ الجد ، وجب علينا القول بأنهم انما تعلموها في حياة الرسول اي قبل الوحي بسنين ليست بكثيرة ، وان مكة كانت المدينة الوحيدة التي عرفت الكتابة في جزيرة العرب ، وهو كلام لا يقوم على علم . فقد كان يثرّب كتاب يكتبون بكتاب مكة ، وكان في أماكن أخرى كتاب يكتبون بكتابهم أيضاً ، فضلاً عن انتشار الكتابة بالمسند في العربية الجنوبية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب .

والرسول أمي ، لم يقرأ ولم يكتب ، فإذا أراد كتابة رسالة او عهد او تدوين للوحي ، أمر كتابه بالتدوين . على ذلك أجمع المسلمون . وقد وردت في القرآن آيات مثل : « اقرأ باسم ربك »^٢ ، وآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك اذا لارتاب المبطلون »^٣ . اخذها البعض على ان فيها دلالة على ان النبي كان يقرأ ويكتب ، واستدل أيضاً ببعض ما ورد في كتب الحديث والسيرة ، وفيه ما يفيد انه كان ملماً بالقراءة والكتابة . كالذي ورد في صلح (الحديبية) انه « هو الذي كتب الكتاب بيده الشريفة . وهو ما وقع في البخاري »^٤ . وما جاء في السيرة لابن هشام : « فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب

١ المفردات (ص ٢٢) .

٢ سورة اقرأ ، الآية الاولى .

٣ العنكبوت ، الآية ٤٨ ، تفسير الطبري (٤/٢٦) .

٤ الروض الانف (٢٣٠/٢) ، الحلبية (٢٣/٣ وما بعدها) .

Nöldeke, Geschichte des Qorâns, I, S. 13.

الكتاب هو وسهيل^١ . وما جاء في البخارى : « وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكتاب ليكتب ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد^٢ . وقالوا ان في هذا المذكور وفي غيره من مثل ما ورد من ان الرسول « لما اشتد وجعه ، قال : اثنوني بالدواة والكتب اكتب لكم كتاباً لا تضلون معه بعدي أبداً^٣ » ، ومثل ما ورد « في حديث أبي بكر رضي الله عنه ، انه دعا في مرضه بدواة ومزير فكتب اسم الخليفة بعده^٤ ، دلالة صريحة على قدرته على الكتابة والقراءة^٥ .

وللعلماء كلام في الأدلة المذكورة ، ولهم آراء في تفسير الآيات التي تعرضت لموضوع الأمية . والأمي في تفسير علماء اللغة من لا يكتب ، او العي الجلف الجاني القليل الكلام . قيل له أمي لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان^٦ ، او الجهل التام بالقراءة والكتابة . « لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب^٧ » ، او لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة او عديمة^٨ ، او الأمي الذي على خلقه الأمة ، لم يتعلم الكتاب ، فهو على جبلته . وقد ورد في الحديث : « إنا أمة أمية لا نكتب^٩ » ، او « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب^{١٠} » ، او « بعثت الى أمة أمية » ، فذهبوا الى ان العرب كانوا على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة ولا الحساب ، فهم على جبلتهم الأولى . « وكل شيء للعرب ، فإنما هو بديهة وارتجال ... ثم لا يقيدده على نفسه ولا

Nöldeke, I, S. 13. ١

الروض الانف (٢٣٠/٢) ، الطبري (٨٠/٣) ، (السنة السادسة) ، (٦٣٥/٢) (دار المعارف) ، الحلبية (٢٤/١) . ٢

البلادري (٥٦٢/١) ، (اثنوني باللوح والدواة - او بالكتف والدواة - أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده) ، (اثنوني أكتب كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً) ، الطبري (١٩٢/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) . ٣

تاج العروس (٢٣١/٣) ، (زبر) . ٤

Nöldeke, I, S. 12. ff. ٥

اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) . ٦

تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) . ٧

تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) . ٨

اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) . ٩

تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) ، المفردات (٢٢) . ١٠

اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) .

يدرسه احداً من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون « ١ » .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (الأمي) ٢ ، و (أميون) ٣ ، و (اميين) ٤ ، ونعت الرسول بـ (النبي الأمي) ٥ ، وردت في سور مكية وفي سور مدنية . وردت لفظة (الأمي) في سورة الأعراف ، وهي من السور المكية ، ووردت لفظة (أميون) و (الأميين) في سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة الجمعة ، وهي من السور المدنية . ويلاحظ ان الآيتين المكتبتين ، خاصتان بالرسول ، فنعت فيها بـ (النبي الأمي) ، اما الآيات المدنية ، فقد قصد بها (الأميين) ، الذين ليس لهم كتاب . بمعنى المشركين :

وقد بحث (الراغب الاصبهاني) في معنى (الأمية) فقال : « والأمي : هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمل : هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم . قال قطرب : الأمية : الغفلة والجهالة . فالأمي منه ، وذلك هو قلة المعرفة . ومنه قوله تعالى : ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا امانى ، اي إلا ان يتلى عليهم . قال الفراء : هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب . والنبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، قيل منسوب الى الأمة الذين لم يكتبوا لكونهم على عادتهم . كقولك عامي لكونه على عادة العامة . وقيل : سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وذلك فضيلة له لاستغناؤه بحفظه واعتماده على ضمان الله منه بقوله : سنقرئك فلا تنسى . قيل سمي بذلك لنسبته الى أم القرى « ٦ » .

وقد ذهب بعض العلماء الى ان الأميين من لا كتاب لهم من الناس ، مثل الوثنيين والمجوس ، قال الطبري في تفسير الآية : « وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا » ٧ : « يعني بذلك جل ثناؤه ، وقل

-
- ١ البيان والتبيين (٢٨/٣) .
 - ٢ الاعراف ، الآية ١٥٦ وما بعدها .
 - ٣ البقرة ، الآية ٧٨ .
 - ٤ ال عمران ، الآية ١٠ ، ٧٥ ، الجمعة ، الآية ٢ .
 - ٥ الاعراف ، الآية ١٥٦ وما بعدها .
 - ٦ المفردات في غريب القرآن (٢٢) .
 - ٧ آل عمران ، الرقم ٣ ، الآية ٢٠ .

يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين ، الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أسلمتم .. « ١ . وذهب كثير من المفسرين الى ان الأميين الذين لا كتاب لهم ، اي الذين ليسوا يهوداً ولا نصارى . وورد : « ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان يكره ان يظهر الأميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم » ٢ . قال الطبري : « وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يكره ان يظهر الأميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم ، ففرح الكفار بمكة وشمتموا ، فلقوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ، ونحن اميون ، وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الكتاب » ٣ . فالمسلمون اهل كتاب ، والمجوس اميون كمشركي مكة وبقية العرب المشركين ، لا لكونهم لا يقرأون ولا يكتبون ، بل لأنهم لم يؤمنوا بالتوراة والانجيل .

ويلاحظ ان الآية : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » ٤ ، والآية : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل » ٥ ، والآية : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا امانى » ٦ ، وكذلك : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم » ٧ ، لا تؤدي معنى الأمية ، بمعنى الأمة الجاهلة بالقراءة والكتابة ، لعدم انسجام التفسير مع المعنى ، وانما تؤدي معنى وثنية ، اي امة لم تؤمن بكتاب من الكتب السماوية ، اي في المعنى المتقدم .

«والأمي والأمان -بضمهما- من لا يكتب او من هو على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب ، وهو باق على جبلته . وفي الحديث: إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب . اراد انه على اصل ولادة امهم ، لم يتعلموا الكتابة والحساب ، فهم على جبلتهم الأولى .

- ١ تفسير الطبري (١٤٣/٣)
- ٢ روح المعاني (١٧/٢١ وما بعدها ، (كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم اهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس لانهم أهل أوثان) ، تفسير الطبري (١٢/٢١ وما بعدها) .
- ٣ تفسير الطبري (١٣/٢١) .
- ٤ ال عمران ، الرقم ٣ ، الآية ٢٠ .
- ٥ ال عمران ، الرقم ٣ ، الآية ٧٥ .
- ٦ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٧٨ .
- ٧ الجمعة ، الرقم ٦٢ ، الآية ٢ .

وقيل لسيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولا ، وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة ، لأنه صلى الله عليه وسلم ، تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد أخرى ، بالنظم الذي انزل عليه ، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ، ففي ذلك انزل الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطلون . وقال الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي ان مما حرم عليه صلى الله عليه وسلم : الخط والشعر ، وانما يتجسه التحريم ان قلنا انه كان يحسنها ، والأصح انه كان لا يحسنها ، ولكن يميز بين جيد الشعر ورديته . وادعى بعضهم انه صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله تعالى من قبله في الآية . فإن عدم معرفته بسبب الاعجاز . فلما اشتهر الاسلام وأمن الارتباب عرف حينئذ الكتابة . وقد روي عن ابن ابي شيبة وغيره : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب وقرأ ، وذكره مجالد للشعبي . فقال ليس في الآية ما ينافيه . قال ابن دحية : واليه ذهب ابو ذر الفتح النيسابوري والباجي وصنف فيه كتاباً ، ووافقه عليه بعض علماء افريقية وصقلية . وقالوا : ان معرفة الكتابة بعد اميته لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة اخرى بعد معرفة اميته وتحقق معجزته ، وعليه تنزل الآية السابقة والحديث فإن معرفته من غير تقدم تعليم معجزة . وصنف ابو محمد بن مفوز كتاباً رد فيه على الباغي وبين فيه خطاه ، وقال بعضهم يحتمل ان يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف ، كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون ، والى هذا ذهب القاضي ابو جعفر السمناني^١ .

وقد تعرض (الألوسي) لهذا الموضوع في تفسيره الآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ، وما يجحد آياتنا إلا الظالمون »^٢ . فقال : « واختلف في انه صلى الله عليه وسلم ، أكان بعد النبوة يقرأ ويكتب ام لا ؟ فقيل انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة ، واختاره البغوي في التهذيب ، وقال : انه الأصح . وادعى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ، صار يعلم الكتابة بعد ان كان

١ تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) .
٢ العنكبوت ، ٢٩ ، الآية ٤٨ ، تفسير الطبري (٤/٢١) ، تفسير الألوسي (٤/٢١)

لا يعلمها ، وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية ، فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وظهر امر الارتباب تعرف الكتابة حينئذ . وروى ابن ابي شيبة وغيره : ما مات صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ . ونقل هذا للشعبي فصدقه ، وقال : سمعت أقواماً يقولونه وليس في الآية ما ينافيه . وروى ابن ماجه عن أنس قال : قال صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أُسري بي مكتوباً على الجنة : الصدقة بعشر امثالها ، والقرض بثمانية عشر .

ثم قال : ويشهد للكتابة احاديث في صحيح البخاري وغيره ، كما ورد في صلح الحديبية : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله ، الحديث .

ومن ذهب الى ذلك ابو ذر عبد بن احمد الهروي ، وابو الفتح النيسابوري ، وابو الوليد الباجي من المغاربة ، وحكاه عن السمناني . وصنف فيه كتاباً ، وسبقه اليه ابن منية . ولما قال ابو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسب على المنابر ، ثم عقد له مجلس فأقيم الحجّة على مدّعاها ، وكتب به الى علماء الأطراف ، فأجابوا بما يوافقهم ، ومعرفة الكتابة بعد اميته صلى الله عليه وسلم ، لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة اخرى لكونها من غير تعليم .

وقد رد بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح إنا أمة أمية نكتب ولا نحسب . وقال : كل ما ورد في الحديث من قوله : كتب ، فعناه امر بالكتابة ، كما يقال : كتب السلطان بكنا لفلان . وتقديم قوله تعالى : من قبله علي قوله سبحانه : ولا تحطه كالصريح في انه عليه الصلاة والسلام لم يكتب مطلقاً . وكون القيد المتوسط راجعاً لما بعده غير مطرد . وظن بعض الأجلة رجوعه الى ما قبله وما بعده ، فقال : يفهم من ذلك انه عليه الصلاة والسلام كان قادراً على التلاوة والخط بعد انزال الكتاب ، ولولا هذا الاعتبار ، لكان الكلام خلواً من الفائدة . وأنت تعلم انه لو سُلم ما ذكره من الرجوع ، لا يتم امر الإفادة إلا اذا قيل بحجية المفهوم ، والظان ممن لا يقول بحجيته .

ثم قال الألوسي في تفنيد هذه الردود ما نصه :

ولا يخفى ان قوله عليه الصلاة والسلام : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، ليس نصاً في استمرار نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام . ولعل ذلك باعتبار

انه بعث عليه الصلاة والسلام ، وهو واكثر من بعث اليهم وهو بين ظهرانيهم من العرب اميون ، لا يكتبون ولا يحسبون ، فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد . واما ما ذكر من تأويل كتب بأمر بالمكاتبه ، فخلافاً للظاهر . وفي شرح صحيح مسلم للنووي عليه الرحمة نقلاً عن القاضي عياض : ان قوله في الرواية التي ذكرناها : ولا يحسن يكتب فكتب ، كالنص في انه صلى الله عليه وسلم كتب بنفسه ، فالعدل عنه الى غيره مجاز لا ضرورة اليه . ثم قال : وقد طال كلام كل فرقة في هذه المسألة وشنت كل فرقة على الأخرى في هذا ^١ .

وبحث (القرطبي) في هذا الموضوع ايضاً ، فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، الضمير في قبله عائد الى الكتاب ، وهو القرآن المنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، اي وما كنت يا محمد تقرأ قبله ، ولا تختلف الى اهل الكتاب ، بل أنزلناه اليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك ، فلو كنت ممن يقرأ كتاباً ، ويخط حروفاً لارتاب المبطلون اي من اهل الكتاب ، وكان لهم في ارتيابهم متعلق ، وقالوا الذي نجده في كتبنا انه امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به . قال مجاهد : كان اهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم ، لا يخط ولا يقرأ ، فنزلت هذه الآية ؛ قال النحاس : دليلاً على نبوته لقريش ، لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخاطب اهل الكتاب ولم يكن بمكة اهل الكتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم ، وزالت الريبة والشك .

الثانية : ذكر النقاش في تفسير الآية عن الشعبي انه قال : ما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب . واسند ايضاً حديث ابي كبشة السلولي ؛ مضمونه : انه صلى الله عليه وسلم ، قرأ صحيفة لعينته بن حصن ، وأخبر بمعناها . قال ابن عطية : وهذا كله ضعيف ، وقول الباجي رحمه الله منه .

قلت : وقع في صحيح مسلم من حديث البراء في صلح الحديبية ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال لعلي : اكتب الشرط بيننا : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال له المشركون : لو نعلم انك رسول الله تابعناك - وفي رواية بايعناك - ولكن اكتب محمد بن عبدالله ، فأمر علياً

١ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن (ص ٣٥٨ وما بعدها) (الطبعة الثانية) ، (عيسى البابي الحلبي) .

ان يحوها ، فقال علي : والله لا أحياه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرني مكانها ، فأراه فحاشاها وكتب ابن عبدالله . قال علياؤنا رضي الله عنهم : وظاهر هذا انه عليه السلام محاتك الكلمة التي هي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيده ، وكتب مكانها ابن عبدالله . وقد رواه البخاري بأظهر من هذا . فقال : فأخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الكتاب فكتب . وزاد في طريق أخرى : ولا يحسن ان يكتب . فقال جماعة ، بجواز هذا الظاهر عليه وانه كتب بيده ، منهم السمناني وأبو ذر والبايجي ، ورأوا ان ذلك غير قاذح في كونه أمياً ، ولا معارض بقوله : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، ولا بقوله : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، بل رأوه زيادة في معجزاته ، واستظهاراً على صدقه وصحة رسالته ، وذلك انه كتب عن غير تعلم لكتابة ، ولا تعاط لأسبابها ، وانما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبدالله لمن قرأها ، فكان ذلك خارقاً للعادة ، كما انه عليه السلام علم علم الأولين والآخرين من غير تعلم ولا اكتساب ، فكان ذلك أبلغ معجزاته ، وأعظم فضائله . ولا يزول عنه اسم الأمي بذلك ، ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة : ولا يحسن ان يكتب . فبقي عليه اسم الأمي مع كونه قال : كتب . قال شيخنا أبو العباس احمد بن عمر : وقد أنكر هذا كثير من متفقيه الأندلس وغيرهم ، وشددوا النكير فيه ، ونسبوا قائله الى الكفر ، وذلك دليل على عدم العلوم النظرية ، وعدم التوقف في تكفير المسلمين ، ولم يتفطنوا ، لأن تكفير المسلم كفتله على ما جاء عنه عليه السلام في الصحيح ، لا سيما رمي من شهد له أهل العصر بالعلم والفضل والإمامة ، على ان المسألة ليست قطعية ، بل مستندها ظواهر أخبار آحاد صحيحة ، غير ان العقل لا يحيلها ، وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها .

قلت : وقال بعض المتأخرين من قال هي آية خارقة ، فيقال له : كانت تكون آية لا تنكر لولا انها مناقضة لآية أخرى وهي كونه أمياً لا يكتب ، وبكونه أمياً في أمة أمية قامت الحججة ، وأفحم الجاحدون ، وانحست الشبهة ، فكيف يطلق الله تعالى يده فيكتب وتكون آية . وانما الآية ألا يكتب ، والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضاً . وانما معنى كتب وأخذ القلم ، أي أمر من يكتب به من كتابه ، وكان من كتبه الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ، ستة وعشرون كتاباً .

الثالثة - ذكر القاضي عياض عن معاوية انه كان يكتب بين يدي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ألقى الدواة وحرّفت القلم وأقم الباء وفرّق السين ، ولا تعوّر الميم ، وحسّن الله ، ومدّ الرحمن ، وجود الرحيم . قال القاضي : وهذا وإن لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم ، كتب ، فلا يبعد ان يُرزق علم هذا ، ويُمنع القراءة والكتابة .

قلت : هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفاً واحداً ، وإنما امر من يكتب وكذلك ما قرأ ولا تهجى . فإن قيل : فقد تهجى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين ذكر الدجال ، فقال : مكتوب بين عينيه ك ا ف ر ، وقلتم ان المعجزة قائمة في كونه أمياً ، قال الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، الآية . وقال : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب . فكيف هذا ؟ فالجواب ما نص صلى الله عليه وسلم ، في حديث حذيفة ، والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً . ففي حديث حذيفة : يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، فقد نص في ذلك على غير الكتاب ممن يكون أمياً . وهذا من أوضح ما يكون جلياً^١ .

وقد ذهب (الطبرسي) في تفسيره للآية المذكورة الى ان الرسول ساوى قومه في المولد والمنشأ ، لكنه جاء بما عجز عنه الآخرون من كلام الله والنبوة ، فهو أمي مثلهم . ثم عرض رأي (الشريف المرتضى) ، القائل : « هذه الآية تدل على ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة ، فأما بعد النبوة فالذي نعتقه في ذلك التجويز ، لكونه عالماً بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين . وظاهر الآية يقتضي ان النبي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ، ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النبي بما قبل النبوة ، لأن المبطلين إنما يرتابون في نبوته صلى الله عليه وسلم ، لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة . فأما بعد النبوة ، فلا تعلق له بالربة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرائيل عليه السلام ، بعد النبوة^٢ .

وتعرض (الجاحظ) لهذا الموضوع أيضاً ، فقال نقلاً عن كلام شيخ من

١ الجامع لاحكام القرآن (٣٥١/١٣ وما بعدها) .

٢ الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن (الجزء الثامن من ٢٨٩) .

البصريين ، « إن الله انما جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ، ولا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، ولا يتعمد البلاغة ، لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة، ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب ، من قيافة الأثر والبشر ، ومن العلم بالأنواء وبالخيول ، وبالأنساب وبالأخبار ، وتكلف قول الأشعار ، ليكون اذا جاء بالقرآن الحكيم ، وتكلم بالكلام العجيب ، كان ذلك أدل على انه من الله .

وزعم ان الله تعالى لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب الكاتب ، ومن الخطيب المناسب ، ولكن ليجعله نبياً ، وليتولى من تعليمه ما هو أزكى وأتمى . فإنما نقصه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه عن القبائل ليجلي له الكثير^١ .

وقد رد (الجاحظ) على كلامه هذا ، بقوله : « وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يُرد إلا الخبر . وقال ببلغ علمه ومنتهى رأيه . ولو زعم ان أداة الحساب والكتابة ، وأداة قرض الشعر ورواية جميع النسب ، قد كانت فيه تامة وافرة ، ومجتمعة كاملة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة الى ما هو أزكى بالنبوة ، وأشبه بمرتبة الرسالة ، وكان اذا احتاج الى البلاغة كان أبلغ البلغاء ، واذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف ، ولو كان في ظاهره ، والمعروف من شأنه انه كاتب حاسب ، وشاعر ناسب ، ومتفرس قائف ، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة ، ما كان ذلك بمانسع من وجوب تصديقه ، ولزوم طاعته ، والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم ، ومكروههم ومحبوبهم . ولكنه اراد ألا يكون للشاغب متعلق عما دعا اليه حتى لا يكون دون المعرفة بحمسه حجاب وان رق ، وليكون ذلك أخف في المؤونة ، وأسهل في المحنة . فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته ، صار لسانه لا ينطلق به ، والعادة توأم الطبيعة . فأما في غير ذلك فإنه اذا شاء كان أنطق من كل منطق ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف . وكانت آلته أوفر وأداته أكمل، إلا انها كانت مصروفة الى ما هو أرد.

١ البيان والتبيين (٣٢/٤) .

وبين ان نضيف اليه العجز ، وبين ان نضيف اليه العادة الحسنة وامتناع الشيء عليه من طول المهجران له ، فرق^١ .

ومن العجب ان صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام في حال معجزة قط ، بل لم يره إلا وهو ان أطال الكلام قصر عنه كل مُطيل ، وان قصر القول اتى على غابة كل خطيب ، وما عدم منه إلا الخط واقامة الشعر ، فكيف ذهب ذلك المذهب ، والظاهر من امره عليه السلام خلاف ما توهم ؟! «^١ .

فهذا هو رأي الجاحظ في امية الرسول .

واما حديث : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » ، فيعارضه حديث آخر ينسب الى الرسول هو : « قرئ اهل الله ، وهم الكتبة الحسبة »^٢ . ويقال قرئ اهل الله ، لأنهم كتبة حسبة^٣ . والقرآن الكريم نفسه ، يقند ان قرئاً لم يكونوا يحسنون الكتاب او الحساب ، لما فيه من آيات تناقض هذا الرأي . وفي الحديث ، أحاديث كثيرة يجب عدم الأخذ بها ، لأنها ضعيفة ، ويشبه ان يكون الحديث المذكور واحد منها . ومن هذه الأحاديث الضعيفة ، حديث : « حق الوالد على ولده ان يعلمه الكتابة والسباحة ، والرماية ، وان لا يزرقه إلا طيباً » ، وحديث : « حق الوالد على ولده ان يحسن اسمه ، ويزوجه اذا أدرك ، ويعلمه الكتاب »^٤ . والحديث المذكور من الأحاديث التي يرجع سندها الى (ابي هريرة) وفي الأحاديث المنسوبة اليه احاديث كثيرة يجب عدم الأخذ بها .

ولو أخذنا بالحديث على علاته ، وقبلناه دون نقد، كما يفعل كثير من الناس ، وجب علينا القول ان الرسول كان يقرأ ويكتب . ورد : « وذكر صاحبُ الشرعة ايضاً ، انه صلى الله عليه وسلم ، قال لمعاوية رضي الله عنه ، وهو يكتب بين يديه : ألقى الدواة ، وحرّف القلم ، وانصب الباء ، وفرّق السين ، ولا تعوّر الميم ، وحسّن الله ، ومد الرحمن ، وجوّد الرحيم »^٥ ، وانه قال (لزيد بن ثابت) وهو احد كتّابه : « اذا كتبتَ بسم الله الرحمن الرحيم فبيّن

- ١ البيان والتنبيين (٣٣/٤ وما بعدها) .
- ٢ الصولي ، أدب الكتاب (٢٨) .
- ٣ حكمة الاشراف (٦٧) .
- ٤ الجامع الصغير ، رقم ٣٧٤٢ ، و ٣٧٤٣ ، حكمة الاشراف (٦٦ وما بعدها) .
- ٥ حكمة الاشراف (٦٧) .

السين فيه «^١ ، فهل يعقل صدور هذا الوصف ، وهذه التسمية للحروف ، وهذه المصطلحات من رجل أمي ، لا يقرأ ولا يكتب . وقد روى الرواة هذين الحديثين مع تعارضهما لأقوال العلماء ، ورووا ايضاً ان (ابا ذر) الغفاري سأل الرسول : « يا رسول الله ، كل نبي مرسل يم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل . قلت : يا رسول الله ، اي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : ا ب ت ث ج الى آخره . قلت : يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : تسع وعشرون . قلت : يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين ، فغضب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى احمرت عيناه ، ثم قال : يا ابا ذر ، والذي بعثني بالحق نبياً ! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله ، فيها ألف ولام . فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم في صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك . من خالف لام ألف ، فقد كفر بما أنزل على آدم ! ومن لم يعد لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه ! ومن لا يؤمن بالحروف ، وهي تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار ابداً »^٢ . وبعد فهل تقبل بحديث من هذا النوع ، وكل ما فيه يطعن في صحته !

ويظهر صراحة من الآية : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »^٣ ، ان مرادها من الأميين ، ليس الجهل بالكتابة والقراءة ، وانما العرب الذين لم يكن عندهم كتاب منزل من السماء . ودليل ذلك ما اورده (الطبري) في تفسيرها من اقوال وروايات . فقد قال : « والأميون هم العرب » ، قال (قتادة) : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم . قال : كان هذا الحلي من العرب امة أمية ليس فيها كتاب يقرأونه ، فبعث الله نبيه محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، رحمة وهدى يهديهم به » ، وقال : « كانت هذه الأمة أمية لا يقرأون كتاباً » ، وقال : « انما سميت امة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين لأنه لم ينزل عليهم كتاباً » ، وقوله : « ويعلمهم الكتاب . يقول ويعلمهم

١ الجامع الصغير (٨٣٥) ، حكمة الاشراف (٦٧) .
٢ صبح الاعشى (٧/٣) .
٣ الجمعة ، الآية ٢ .

كتاب الله وما فيه من امر الله ونهيه وشرائع دينه، والحكمة يعني بالحكمة السنن». وقال: «ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة أيضاً، كما علم هؤلاء. يزيكهم بالكتاب والأعمال الصالحة ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأولين»، وقال في تفسير «وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين. يقول تعالى ذكره، وقد كان هؤلاء الأميون من قبل ان يبعث الله فيهم رسولا منهم في جور عن قصد السبيل وأخذ على غير هدى مبينين. يقول يبين لمن تأمله انسه ضلال وجور عن الحق وطريق الرشده»^١. وقال (ابن كثير) في تفسيرها: «وذلك ان العرب كانوا قديماً متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه، واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً... فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل لجميع الخلق، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امر معاشهم ومعادهم»^٢. وقال (القرطبي): قال ابن عباس: الأميون العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب، لأنهم لم يكونوا اهل كتاب»^٣. فالأميون اذن هم العرب، لأنهم كانوا اهل شرك، وليس لهم كتاب، وليس للفظه صلة بالأمية التي تعني الجهل بالقراءة والكتابة.

واما حديث: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب. الشهر هكذا وهكذا»: مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين»^٤. وقد نسب سنده الى (ابن عمر)، فحكمه حكم الحديث السابق، وقد فسر الحساب، بأنه حساب النجوم وتسييرها، لا الجهل بالحساب.

وقد ذهب (شبرنكر) الى ان الرسول كان يقرأ ويكتب، وانه قرأ (اساطير الأولين)^٥، و (شبرنكر) من المستشرقين العاطفين: الذين يأخذون بالخبر، مها كان شأنه فينبني حكماً عليه.

وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان المقصود من الأميين هنا الوثنيون. وان الأمية هذه اخذت من اليهود الذين كانوا يطلقون لفظة (امت) و (اميم)

١ تفسير الطبري (٦١/٢٨ وما بعدها).

٢ تفسير ابن كثير (٣٦٣/٤).

٣ الجامع لاحكام القرآن (٩١/١٨).

٤ ارشاد الساري (٣٥٩/٣).

٥ Nöldeke, I, S. 16, Ency. of Islam, Vol. IV, p. 1016.

على غيرهم ، يريدون بها الوثنيين . كما في جملة : (امت ها عالولام)
 Ummot ha Olam ^١ . وقد أطلق اليهود على الغرباء وعلى كل من هو غير
 يهودي ، (كوي) Goy للواحد ، و (كويم) Goyim للجمع . وتقابل
 هذه اللفظة لفظة Gentile في اللاتينية . ويقال للغريب عنهم (اخريم) Ahrim
 و Nochrin ، كذلك، تمييزاً لهم عن العبرانيين الذين يذهبون الى أنهم أمة مقدسة
 مفضلة على العالمين ^٢ .

وذهب بعض المستشرقين اليهود الى ان لفظة (الأميين) معربة من اصل (كوى)
 و (كويم) المذكور ^٣ .

والذي أراه ان لفظة (أمي) و (أمية) لم تكن تعني عند الجاهليين معنى
 عدم القراءة والكتابة والجهل بهما ، وانما كانت تعني عندهم : مشركين ووثنيين ،
 وهو المعنى الذي ورد في القرآن الكريم . والذي نعت الرسول فيه بالأمي ، لأنه
 من العرب ، ومن قوم ليس لهم كتاب ، عرفوا بذلك من قبل اهل الكتاب
 اليهود . أما تفسيرها بالجهل بالكتابة والقراءة ، فقد وقع في الاسلام ، أخذوه من
 ظاهر معنى لفظة (الكتاب) الواردة في القرآن ، فظنوا انها تعني (الكتابة)
 بينما المراد منها الكتاب المنزل ، لعدم انسجام تفسيرها بالكتابة مع معنى الآية ،
 ودليل ذلك أنهم لما فسروا (الأمية) بمعنى عدم القراءة والكتابة حاروا في إيجاد
 مخرج لهذا التفسير ، فقالوا ما قالوه في تفسيرها من انها سميت بالأمية لأنها علي
 خلقة الأمة ، أو لأنها علي الجبله والفطرة ، وأصل ولادة الأمهات وما شاكل
 ذلك من تفاسير مضطربة باردة ، تخبر ان علماء اللغة لم يجدوا لها أصلاً ووجوداً
 عند الجاهليين فلجأوا الى هذه التعليلات ^٤ . ولو كانت الأمية معروفة عند اهل
 الجاهلية بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر من أشعار الجاهليين أو المخضرمين ،
 ولما لجأوا الى هذه التفاسير المتكلفة ، لأن من عادتهم الاستشهاد بالشعر في تفسير

Shorter Ency. p. 764, Horovitz, Koranische Utersuchungen, 1926, S. 51, ١

Buhl - Shaeder, Das Leben Muhammeds, Leipzig, 1930, S. 56, Nöldeke,

Geschichte des Qorans, I, S. 14.

The Universe. Jewish Ency. Vol. 4, p. 533. ٢

Torrey, The Jewish foundation of Islam, New York, 1933, p. 38, Abram ٣

I. Katsh, Judaism in Islam, New York, 1934, p. 75.

٤ تاج العروس (١٩١ / ٨) ، (أمم) .

الألفاظ ، ولا سيما الألفاظ الغريبة ، فعدم استشهادهم بشاهد من شعر او نثر في تفسير الأمية هو دليل على ان اللفظة بهذا التفسير من الألفاظ التي ولدت في الاسلام ، وانها لم تكن عربية خالصة ، وانما سمعوا من اهل الكتاب .

وعندي ان يهود يثرب هم الذين أطلقوا لفظة (الأميين) على العرب المشركين ، على عادتهم حتى هذا اليوم في نعت الغرباء عنهم بألفاظ خاصة مثل (كويم) ، لتميزهم عن أنفسهم ، باعتبارهم (شعب الله المختار) المؤمن بإله اسرائيل .

وما يؤيد هذا الرأي ، اننا نطلق في عربيتنا لفظة (الأمي) على من لا يعرف القراءة والكتابة معاً ، بينما نطلق على الشخص الذي يحسن القراءة ولا يحسن الكتابة قارئ ، او قارئة ، وذلك لوجود جماعة كانوا يحسنون القراءة ، ولكنهم لا يكتبون .

ونجد اليوم من النساء من يحسن القراءة ولا يكتبن ، ولما نزل الوحي على الرسول : باقرأ ، قال الرسول : ما أنا بقارئ ، او لست بقارئ ، ولم يقل : أنا أمي ، مما يدل على ان الأمية انما صارت تعبر عن معنى عدم القراءة والكتابة فيما بعد .

ثم اننا لا نجد في اللغات القديمة لفظة واحدة في معنى (الأمية) التي نستعملها في عربيتنا في الوقت الحاضر ، أي في معنى الجهل بالقراءة والكتابة معاً ، وانما يقال لا يقرأ او لا يكتب ، او يجهل القراءة والكتابة ، فلا يعقل خروج العربية على هذه القاعدة . واستعملها الأمية قبل الاسلام مصطلحاً للتعبير عن الجهل بالكتابة والقراءة معاً . ولم أعر في النصوص الجاهلية على هذه اللفظة او على لفظة اخرى تؤدي هذا المعنى .

ولا يعقل ان يكون اليهود او غيرهم قد أطلقوا الأمية على العرب ، بسبب جهل العرب الكتابة والقراءة . فقد كان سواد يهود ونصارى جزيرة العرب أمياً ايضاً ، لا يقرأ ولا يكتب ، إلا ان القرآن الكريم أخرجهم من الأميين ، واستثناهم ، وأطلق عليهم (اهل الكتاب) ، وذلك يدل دلالة واضحة على ان المراد من (الأميين) العرب الذين لهم كتاب ، اي العرب الذين لم يكونوا يهوداً ولا نصارى لا من لا يحسن الكتابة والقراءة . والقرآن الكريم هو الذي هداانا الى لفظة (الأميين) فلم ترد اللفظة في نص من نصوص الجاهلية وبفضله ايضاً عرفنا مصطلح (أهل الكتاب) دلالة على اهل الديانتين .

١ إمتاع الاسماع (١٣/١) ، (ثم قال اقراً : قلت ما اقراً) ، تفسير الطبري (١٦١/٣٠) ، تفسير النيسابوري (١٢٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .

وأنا لا أريد ان أثبت هنا ان العرب قاطبة كانت أمة قارئة مكتبة ، جاعها يقرأ ويكتب ، وانها كانت ذات مدارس منتشرة في كل مكان من جزيرتهم ، تعلم الناس القراءة والكتابة والعلوم الشائعة في ذلك الزمن ، فقول مثل هذا هو هراء ، ما في ذلك شك ، ولا يمكن أن يدعيه أحد ثم ان شيوع القراءة والكتابة بالمعنى المفهوم عندنا ، لم يكن معروفاً حتى عند أرقى الشعوب إذ ذلك مثل اليونان والرومان والساسانيين في عالم ذلك العهد . فسواد كل الأمم كان جاهلاً لا يحسن قراءة ولا كتابة ، وانما كانت القراءة والكتابة في الخاصة وفي أصحاب المواهب والقابليات الذين تدفعهم مواهبهم ونفوسهم على التعلم والثقف وترعّم الحركة الفكرية بين أبناء جنسهم . ومن هنا كانت كل الأمم أمية من حيث الأثرية والغالبية ، انما اختلفت في نسبة المتعلمين والمتخصصين والمجتهدين ودرجتهم فيها . وفي هذا تباين وتختلف أيضاً ، فقد كان اليونان والرومان والعالم النصراني في الدرجة الأولى في العهد الذي قارب الاسلام ، يليهم الفرس واليهود والهنود . أما العرب ، فقد كانوا يتباينون في ذلك أيضاً تبايناً يختلف باختلاف أماكنهم كما سأبين ذلك .

فأهل البوادي ، ولا سيما البوادي النائية عن الحواضر ، هم أميون ما في ذلك من شك، لأن طبيعة البادية في ظروفها المعلومة لا تساعد على تعلم القراءة والكتابة ، ولا على ظهور العلوم وتطويرها فيها ، غير اننا لا تعني انهم كانوا جميعاً أميين ، لا قارىء بينهم ولا كاتب . فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب ، بدليل هذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها مبعثرة في مواضع متناثرة من البوادي ، وفي أماكن نائية عن الحضارة . وهي كتابات أعراب ورعاة إبل وبقر وأغنام، دونوها تسجيلاً لخاطر ، أو للذكرى ، أو رسالة لمن قد يأتي بينهم، فيقف على أمرهم ، ومن هنا نستطيع أن نقول ان أعراب الجاهلية ، كانوا أحسن حالاً من أعراب هذا اليوم ، فقد كان فيهم الكاتب القارىء ، الذي يهتم بتسجيل خواطره ، وبإثبات وجوده بتدوينه هذه الكتابات ، وأن الأمية المذكورة لم تكن أمية عامة جامعة ، بل أمية نسبية ، على نحو ما نشاهده اليوم في مجتمعاتنا من غلبة نسبة الأمية على نسبة المتعلمين .

وأما أهل الحواضر ، فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب ، كما كان بينهم الأمي أي الجاهل بالقراءة والكتابة . كان منهم من يقرأ ويكتب بالقلم المسند ، وكان

بينهم من يقرأ ويكتب بالقلم الذي دون به القرآن الكريم ، فصار القلم الرسمي للإسلام ، بفضل تدوين الوحي به ، كما كان بينهم من يكتب بقلم النبط وبقلم بني لرم . وكان بينهم من يكتب ويقرأ بقلمين أو أكثر .

وقد سبق ان ذكرنا ان الأحناف كانوا يكتبون ويقرأون ، ورأينا بعضاً منهم كان يكتب بأقلام أعجمية ، وكان قد وقف على كتب أهل الكتاب ، وكانوا أصحاب رأي ومقالة في الدين وفي أحوال قومهم . وذكرت انهم قالوا عن بعضهم ، مثل (ورقة بن نوفل) ، انه كان « يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب بالبرانية من الانجيل ما شاء أن يكتب »^١ .

وقد ذكر (المهداني) ان العرب كانت « تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب : صابئاً ، وكانت قريش تسمي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن : صابئاً »^٢ . فالصباء على تفسير (المهداني) ، هم الكتبة وكل من قرأ الكتب ، وعلى ذلك يكون الخنفاء في جملة الصبابة .

وقد ذكر أهل الأخبار انه كان لدى (الأكاسرة) ديوان خاص يدون فيه كل ما يخص عرب الحيرة وسائر العرب بالعربي ، ويتولى أيضاً ترجمة كل ما يرد الى الدولة بالعربية الى الفارسية ، ويترجم ما يصدر بالفارسية من الحكومة الى العرب بالعربية ، وان في جملة من اشتغل في هذا الديوان وقام بالترجمة فيه (زيداً العبادي) ، أبا الشاعر الشهير (عدي بن زيد العبادي) ، وزعم (ابن الكلبي) ان ملوك الحيرة كانوا يملكون دواوين فيها أخبارهم ومقدار مدد حكمهم وما قيل في مدحهم من شعر ، وفي خبر صحيفة المتلمس وقراءة أحد غلمان الحيرة للصحيفة التي كان يحملها ما يشير الى معرفة غلمان أهل الحيرة القراءة والكتابة^٣ . وفي كل هذه الروايات والأخبار تفنيد لزعم من ذهب الى ان العرب قبل الاسلام كانوا جميعاً في جهالة وأمية .

١ الاغاني (١٢٠/٣) .

٢ الاكليل (٤٤/١) .

٣ الفهرست (ص ١٢ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣/٣٦٨ وما بعدها) .

(فأعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه) ، (فإذا أنا بسلام من أهل الحيرة يسقي غنمية له من نهر الحيرة ، فقلت : يا غلام . اقرأ ؟ قال : نعم . قلت : اقرأ) مجمع الامثال (٤١٢/١ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣/٣٧٤) ، النصرانية وآدابها (١٥٧/١) .

بل ورد في روايات أهل الأخبار في ترجمة عدي بن زيد العبادي المذكور :
 ان كان في الحيرة معلمون ، يعلمون الأطفال القراءة والكتابة ، يذهبون الى بيوت
 الأطفال يعلمونهم ان شاء أهلهم ، أو يعلمونهم في الكتاتيب . وقد ورد أيضاً :
 ان من الكتاتيب ما كانت تعلم بالعربية ومنها ما كانت تعلم بالفارسية . فكان جدّ
 عدي بن زيد العبادي مثلاً ممن تعلم في دار أبيه ، وخرج من أكتب الناس في
 يومه « وطلب حتى صار كاتب ملك النعمان الأكبر . وكان أبوه زيد ممن حذق
 الكتابة والعربية ، ثم علم الفارسية . ولما تحرك عدي ، وأبفع ، طرحه أبوه في
 الكتاب ، حتى اذا حذق أرسله المرزبان مع ابنته شاهان مرد الى كتاب الفارسية ،
 فكان يختلف مع ابنته ، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم
 الناس بها ، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب ، فخرج مع
 الأساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالة وغيرها »^١ .

وذكر أهل الأخبار ان (لقيط بن يعمر الإيادي) الشاعر كتب صحيفة الى
 قومه إياد ، يحذرهم من كسرى^٢ . وكان كاتباً ومترجماً في قصر كسرى ، يكتب
 من الفارسية الى العربية ومن العربية الى الفارسية^٣ ، فلما أراد كسرى الانتقام من
 قومه ، كتب اليهم قصيدة في صحيفة ، فيها :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إياد

وذكر ان (سعد بن ملك) أرسل ابنه (المرقش) الشاعر المعروف وأخاه
 الى رجل من أهل الحيرة ، فعلمها الكتابة ، فكانا يكتبان أشعارهما ، وذكر
 انه كان يكتب بالحميرية ، وانه كتب أبياتاً بها على خشب رحل « الغفيلي الذي
 تركه وحده لما مرض ، فلما قرأوا الكتابة ضربوا (الغفيلي) حتى أقره .

وكان جفينة العبادي ، وهو من نصارى الحيرة ، وظئراً لسعد بن أبي وقاص ،

- ١ الاغاني (١٨/٢ وما بعدها ، ١٠١) .
- ٢ الاغاني (٢٣/٢٠ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٩٧ وما بعدها) ، بروكلمن ،
 تاريخ آداب اللغة العربية (١١٢/١) ، (المترجم) ، (١٠١/٢ وما بعدها) .
- ٣ البكري ، معجم (٥٢/١) .
- ٤ المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) ، الاغاني (١٣٠/٦) .
- ٥ الشعر والشعراء (١٣٩/١) .

كاتباً ، قدم المدينة في عهد عمر ، وصار يعلم الكتابة فيها . وقد آتته (عبيد الله بن عمر) بمشايعة أبي لؤلؤة على قتل أبيه ، فقتله وقتل ابنه^١ .

ولما نزل (خالد بن الوليد) الأنبار ، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا الى قوم من العرب قبلنا - فكانت أوائلهم نزلوها أيام مجتصر حسين أباح العرب ، ثم لم تزل عنها - فقال : ممن تعلمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إباد ، وأنشدوه قول الشاعر :

قومي إباد لو أنهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم^٢

ووجد (خالد بن الوليد) أهل (النقيرة) يعلمون أولادهم الكتاب في كنيستها . وهي قرية من قرى (عين التمر) . ومنها كان (حمران) مولى (عثمان بن عفان)^٣ . ولما فتح (خالد) حصن عين التمر ، وغنم ما فيه ، وجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم^٤ ، ثم أخرجهم ، فقسّمهم في أهل البلاد ، فكان منهم نصير ، أبو موسى ابن نصير ، وسيرين أبو محمد بن سيرين ، وخران مولى عثمان وغيرهم .

فحن في العراق أمام مدارس تعلم العربية في القرى وفي الأماكن التي تكون غالبية سكانها من العرب ، وتعلمهم أمور دينهم من نظر في الأناجيل وفي الكتب الدينية النصرانية والعلوم اللسانية المعروفة الى غير ذلك من علوم ومعرفة وثقافة .

وورد في روايات أهل الأخبار ان عدداً من الشعراء الجاهليين كانوا يكتبون ويقرأون . وكان منهم من اذا نظم شعراً دوّنه ثم ظل يعمل في اصلاحه وتنقيحه وتحكيك ما نظمه الى أن يرضى عنه . فينشده الناس . ومن كان يكتب ويقرأ

- ١ الطبري (٤٢/٥) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣ ص ٢٥٨) ، (ليدن) ، البلاذري ، فتوح البلدان (٤٦٠) .
- ٢ الطبري ، (٣٧٥/٣) .
- ٣ البلدان (٨٠٧/٤ وما بعدها) .
- ٤ الطبري (٣٧٧/٣) ، (خبير عين التمر) .

سويد بن الصامت الأوسي ، صاحب مجلة لقمان ، والزبيرقان بن بدر^١ ، وكعب ابن زهير^٢ ، وكعب بن مالك الأنصاري^٣ ، والربيع بن زياد العبسي ، وكان هو واخوته من الكلمة . وقد كتب الى (النعمان بن المنذر) شعراً يعتذر اليه فيه^٤.

وذكر ان أهل (دومة الجندل) كانوا يكتبون ويقرأون ، وان أهل مكة انما تعلموا الكتابة من أحدهم . وورد ان قوماً من (طيء) تعلموا الكتابة والقراءة من كاتب الوحي لهود . وذكر ان (بشر بن عبد الملك) السكوني ، أخو (أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجبن) السكوني الكنسدي صاحب دومة الجندل ، وكان نصرانياً ، يأتي الحيرة فيقيم بها حين ، تعلم الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه ، فرآه (سفيان بن أمية بن عبد شمس) و (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب) يكتب فسألاه أن يعلمها الخط ، فعلمها الهجاء ، ثم أراها الخط ، فكتبا . ثم ان بشرأوسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم (غيلان بن سلمة الثقفي) ، فتعلم الخط منهم ، وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر ، فتعلم الخط منه (عمرو بن زرارة بن عدس) فسمي عمرو الكاتب . ثم أتى بشر الشام ، فتعلم الخط منه ناس هناك .

وتعلم الخط من الثلاثة الطائين : (مرامر بن مرة) ، و (أسلم بن سدره) ، و (عامر بن جدره) ، الذين وضعوا الخط وقاسوا هجاء العريية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم أهل الأنبار - رجل من طابحة كلب ، فعلمه رجلاً من أهل وادي القرى ، فأتى الوادي يردد ، فأقام بها ، وعلم الخط قوماً من أهلها .

وقد وصف الشاعر (أبو ذؤيب) الهذلي كاتباً من اليمن وهو يكتب كتاباً ، ولم يكن خط هذا الكاتب بالتعلم العربي ، قلم أهل مكة ، وانما كان بقلم أهل اليمن وهو المسند . وذلك كما يظهر من تعابير هذا الشاعر الواردة في شعره ، إذ يقول :

-
- ١ الاغاني (١٨٠/٢) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٩١/١) .
 - ٣ ابن هشام (٨٧/٢) وما بعدها .
 - ٤ الاغاني (٢٢/١٦) وما بعدها ، المرتضى ، أمالي (١٣٦/١) .
 - ٥ فتوح البلدان (٤٥٦) ، (أمر الخط) .
 - ٦ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) .

عرفتُ الديار كرقم الدوا ة يزبره الكاتب الحميري
 برقم ووشى كما زخرفت بميشمها المزداهة الهندي
 أدانَ وأنبأه الأولو ن أن المدان الميُّ الوفي
 فنمتم في صحف كالريا طِ فيهن إرث كتاب محي^١

وهي قصيدة عدتها أربعة عشر بيتاً ، ذكر في أولها دروس الديار وطموسها
 الى أن رثى ابن عمه (نثبية) بخمسة أبيات من آخرها^٢ .

ويظهر من هذه الأبيات ان ذلك الكاتب الحميري كان يكتب بالحبر الموجود
 في دواة على شيء يصلح للكتابة عليه كأديم أو قرطاس ، ولم يكن يستعمل المزبر
 المعمول من حديد لتقش الحروف على الحجر . وهذا مما يدل على ان أهل العربية
 الجنوبية كانوا يكتبون على مواد الكتابة الأخرى بالحبر والقلم ، فعل أهل مكة
 وأهل الحيرة ودومة الجندل .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، ان رجلين من (بني نهد بن زيد) يقال لهما
 (حزن) و (سهل) كانا يكتبان ويقرأان . وكانا قد زارا (الحارث بن
 مارية) الغساني ، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب ، ولهما ظرافة وأدب
 وصحبة ، فترلا متزلاً طيباً من قلب الحارث ، فحسدهما (زهير بن جناب الكلبي)
 وكان من ندماء الملك ، فأراد افساد مكانهما عنده ، فقال له : « هما يكتبان
 اليه بعورتك وخلل ما يريان منك »^٣ . يريد اخباره انها كانا يتجسسان عليه
 فيكتبان بأخباره الى خصمه (المنذر) الأكبر ، ملك الحيرة ، جدّ النعمان بن
 المنذر .

وأما عرب بلاد الشام ، فلم يذكر أهل الأخبار شيئاً عن علمهم بالكتابة
 والقراءة ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون دليلاً على جهلهم بها . ولا سيما أنهم
 كانوا على اتصال ببني إرم في بلاد الشام وبعرب بلاد العراق ، ثم انه يجوز أنهم
 كانوا يكتبون بقلم بني إرم ، على عادة معظم شعوب الشرق الأدنى إذ ذاك ،

١ ديوان الهذليين (٦٤/١) .
 ٢ الخزائفة (٢٩١/٣) ، (بولاق) .
 ٣ الاغانبي (١١٨/٥) ، (دار الكتب) .

في الكتابة به ، لأنه كان قلم العلم والثقافة والأدب في ذلك الحين . ثم اننا سمعنا ان ملوكهم المنتصرين كانوا يرأسون مجالس المناظرات في أمور الدين ، ويبحثون مع رجال الدين في موضوعات دينية ، ويدافعون عن مذهب اليعاقبة في طبيعة المسيح ، ومثل هؤلاء الملوك لا يعقل أن يكونوا جهلة أميين لا يقرأون ولا يكتبون .

وقد سبق أن تحدثت عن الكتابات الصفوية وعن كتابات عربية شمالية أخرى ، عثر عليها السياح والمستشرقون في مواضع متعددة من (الصفاة) وفي البوادي ، كتبت على صخور وهشيم صخور منشور ، دلّ البحث فيها على انها كتابات أعراب ، كان أصحابها ينتقلون من مكان الى مكان طلباً للمرعى والصيد .

وتدل تلك الكتابات الصفوية على ان أعراب الجاهلية كانوا في أيام الجاهلية أحسن حالاً من حيث علمهم بالكتابة والقراءة من أعراب هذا اليوم . فالكتابات الصفوية الكثيرة المبعثرة في البوادي ، هي كتابات أعراب ، متجولين ، كانوا يرعون الإبل وبقية الماشية، فكانوا يسلّون أنفسهم بالكتابة والتصوير على الحجارة ، بينما لا نكاد نجد بين أعراب هذا اليوم من يكاد يقرأ ويكتب .

كما تحدثت عن كتابات ثمودية ، وثمود قوم من لبّ العرب ومادة العرب البائدة الأولى في عرف النسابين ، وتحدثت أيضاً عن القلم المسند بلهجاته ولغاته ، فهل يصدق بعد هذا قول من زعم ان العرب قبل الاسلام كانوا في جهالة عمياء ، لا يقرأون ولا يكتبون .

ولا يعقل أن يكون المذكورون أميين كتبوا للتسلية والتلهية ، وان الأوامر والقوانين التي دوتها ملوك اليمن قبل الاسلام وأعلنوها للناس بوضعها في المحلات العامة وفي الأماكن البارزة كانت مجرد تفهيم أو تزويق وتزيين ، لا للإعلان وإفهام المواطنين بمحتوياتها . إن تدوين تلك الكتابات ووضع الحجارة الفخمة المكتوبة للإعلان ، دليل على ان في الناس قوماً يقرأون ويكتبون ويفهمون ، وان الحكومات انما أمرت بتدوينها لإعلام الناس بمحتوياتها للعمل بها ، كما تفعل الحكومات في الوقت الحاضر عند إصدارها أمراً أو قانوناً بإذاعته بالوسائل المعروفة على الناس للوقوف عليها ، وان من بين الحجارة الصفوية والحيانية والثمودية المكتوبة ، ما هو رسائل وكتب وجهت الى أشخاص معروفين ، كما نفل اليوم في توجيه الرسائل الى الأقرباء والأصدقاء .

ووجد عند ظهور الاسلام قوم كانوا يكتبون ويقرأون ويطالعون الكتب بمكة ولهم إلام يكتب أعجمية ، ومن هؤلاء (الأحناف) وقد ذكر عن بعض أنهم كانوا يجيدون بعض اللغات الأعجمية ، وانهم وقفوا على كتب اليهود والنصارى وعلى كتب أخرى . وفي معركة (بدر) اشترط الرسول على من أراد فداء نفسه ولم يكن موسراً من أهل مكة ، أن يعلم عشرة نفر من المسلمين القراءة والكتابة ، كما كان من عادة أهل مكة تدوين ما يجمعون عليه وما يلزمون أنفسهم به في صحف يختمونها بخواتمهم وبأسمائهم لتكون شواهد على عزمهم كالذي فعلوه في الصحيفة . وذكر أن أمية بن أبي الصلت كان فيمن قرأ الكتب ووقف عليها ، وذكروا غيره أيضاً .

وذكر أهل الأخبار ان قوماً من أهل يثرب من الأوس والخزرج ، كانوا يكتبون ويقرأون عند ظهور الاسلام ، ذكروا فيهم : سعد بن زرارة ، والمنذر ابن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وكان يكتب بالكتابين العربية والعبرية أو السريانية ، ورافع بن مالك وأسيد بن حضير ، ومعنى (معن) بن عدي البلوي ، وأبو عيس بن كثير ، وأوس بن خولى ، وبشير بن سعيد ، وسعد بن عبادة ، والربيع بن زياد العبسي ، وعبد الرحمن بن جبر ، وعبدالله ابن أبي ، وسعد بن الربيع ، وقد رجعوا أصل علمهم بالكتابة والقراءة الى قوم من يهود يثرب ، مارسوا تعليم الصبيان القراءة والكتابة ، دعوهم (بني ماسكة)^١ . ويظهر ، إن صحت هذه الرواية ، ان يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية أيضاً ، وانهم كانوا يعلمونها للعرب . وتعرض البلاذري لهذا الموضوع فقال : « كان الكتاب في الأوس والخزرج قليلاً » ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول ، فجاء الاسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون »^٢ . ونجد هذا الخبر في موارد أخرى ، أخذته دون أن تشير الى السند ، فظهر وكأنه حقيقة مسلمة وخبر متواتر ، حتى جاز على المحدثين ، فبنوا عليه حكماً ، هو أن الكتاب كان في يثرب قليلاً ، حتى جاء الاسلام ،

-
- ١ المعارف ، لابن قتيبة (ص ٢٨) .
 - ٢ صبح الاعشى (١٥/٣) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٤٧٩) .

فانتشر بها ، وانه لو كانت الكتابة منتشرة عندهم ، لما كلف الرسول القارئين الكاتبين من أسرى بدر، بأن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة ، فداءً لنفسه من الأسر^١ .

ويظهر ان يهود يثرب ، وربما بقية يهود ، مثل يهود خيبر ، وتيما وفدك ووادي القرى ، كانوا يكتبون بقلمهم ، كما كانوا يكتبون بالعربية ، ويظهر من استعمال (البلاذري) جملة : « وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول »^٢ ، ان يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية ، كما كان يكتب بها صبيان المدينة ، وكانوا يعلمون الكتابة لصبيان يثرب في مدارسهم . وفي هذا الخبر وأمثاله دلالة على ان الكتابة كانت معروفة بين أهل يثرب أيضاً قبل الاسلام ، وانها كانت قديمة فيهم ، ولهذا فلا معنى لزعم من قال انها انتشرت بيثرب في الاسلام ، وان الكتابة كانت قليلة بها قبل هذا العهد .

وقصد أهل الأخبار بجملة « وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، الكتابة بالخط العربي الشمالي ، لا بالقلم المسند ، لأن هذا هو مرادهم من (الكتاب العربي) و (كتاب العربية) ، ويظهر ان اليهود قد تعلموا الخط العربي من عرب العراق وبلاد الشام، أو من التجار والمبشرين الذين كانوا يفتدون الى الحجاز، وأما القلم المسند ، الذي هو قلم العرب الجنوبيين ، فلم يكن مستعملاً في يثرب ، وإلا لأشير اليه ، مع انها من القواعد المتعصبة للقطانية ، وحاملة الدعوة الى اليمن قبل الاسلام وفي الاسلام . وهذا يدل على ان المسند كان قد طورد في جزيرة العرب قبل الاسلام ، وأن سلطانه كان قد تقلص كثيراً خارج العربية الجنوبية قبل نزول الوحي على الرسول ، وربما كان القلم العربي الشمالي قد دخل العربية الجنوبية أيضاً قبل الاسلام ، فأخذ ينافس المسند فيها ، ولا سيما في المناطق التي تركزت فيها النصرانية وتحكمت في أهلها ، فأخذ النصارى يقاومون ذلك القلم ، لأنه قلم الوثنية ، ويعلمون أولاد النصارى القلم العربي الشمالي ، لأنه قلمهم الذي كانوا يعلمون به في كنائس العرب في العراق وفي دومة الجندل وبلاد الشام .

وقد أطلق العرب على الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي، وقيل الحساب

١ ابن سعد ، طبقات (الجزء الثاني ، القسم الاول) ، (١٤) .
٢ البلاذري ، فتوح (٤٥٩) ، (المكتبة التجارية) .

أيضاً ، والجَلَد أي الشجاعة ، وقول الشعر ، وأصحاب الشرف والنسب: الكملة .
 وجمع بعض أهل الأخبار إلى ذلك استواء القامة وكمال الانسان^١ . ومن هؤلاء
 الكملة : (سعد بن عبادة بن دليم) سيد الخزرج ، وهو من أسرة غنية تطعم
 الفقراء ، ولها أطم يأوي إليه الفقراء للأكل . ولما نزل النبي يثرب ، كانت
 جفنة (سعد) تدور مع النبي ، وكان يعيشي كل ليلة أهل الصفة^٢ .

ومن الكملة : الربيع بن زياد العبسي . وكان هو واخوته من الكملة^٣ .
 و (رافع بن مالك) ، و (أسيد بن حضير) ، و (عبدالله بن أبي) ،
 و (أوس بن خولى) ، و (سويد بن الصامت) ، و (حضير الكتاب)^٤ .

ويظهر من النظر إلى قائمة أسماء من أدخلهم أهل الأخبار في الكملة ، ان
 الكتابة والرماية والعموم ، لم تكن الشروط الأساسية الكافية ، لكي يعد الانسان
 كاملاً ، فقد توفرت هذه الشروط في أناس آخرين ، لم يدخلوا مع ذلك في
 الكملة ، وانما هنالك أشياء أخرى بالاضافة إلى الأمور المذكورة ، هي الشرف
 وكمال الجسم والعقل والامتناع عن الهجر في الكلام ، والتحلي بالحكمة وبالفتانة
 واللب وقول الشعر المحكم الحكيم .

وكان (عبد الرحمان بن جبر) ، أبو عبس الأنصاري ، يكتب بالعربية قبل
 الاسلام . ومات سنة أربع وثلاثين^٥ .

وكان (المنذر) ، (منذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوزان)
 الخزرجي من الكتبة . وكان أحد السبعين الذين بايعوا الرسول ، وأحد النقباء

-
- ١ المعارف (٢٥٩) ، الاغانى (٢٥/٣) ، (دار الكتب) ، ابن سعد ، طبقات (٥٤٢/٣)
 - ٢ ابن سعد طبقات (٦١٣/٣) ، الاصابة (٢٧/٢) ، (رقم ٣١٧٣) ، الاستيعاب
 (٣٢/٢) وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، أسد الغابة (٣٧٨/٢) ، ابن
 الاثير ، الكامل (٣٧٨/٢) ، ابن هشام (٨٩/٢) .
 - ٣ أمالي المرتضى (١٣٦/١ ، ١٩٠) ، الاغانى (٢٢/١٦) وما بعدها) .
 - ٤ فتوح البلدان (٤٥٩ وما بعدها) ، ابن سعد ، طبقات (٥٤٢/٣) ، الاصابة
 (٩٨/١ وما بعدها) ، (رقم ٣٣٤) ، تفسير الطبري (٢٣/٤) ، الروض الانف
 (٢٦٥/١ وما بعدها) ، الاغانى (١٦٤/٢) ، ابن هشام ، سيرة (٢٦٥/١) ،
 (حاشية على الروض) .
 - ٥ المعارف (٣٢٦) ، (أبو عيسى) ، الاصابة (٣٨٦/٢) ، (رقم ٥٠٩٧) ،
 (١٥٠/٤) ، (رقم ٨٨٠) .

الاثني عشر . « وكان يكتب في الجاهلية بالعربية »^١ . قتل يوم بئر معونة .
وكان (أبو جبيرة بن الضحاك) الأنصاري ، ممن يكتب . وقد تولى الكتابة
للخليفة (عمر)^٢ .

وكان (قيس بن نسيبة) عم الشاعر (العباس بن مرداس) السلمي ، أو
ابن عمه من الكتبة . ذكر انه كان ممن قرأ الكتب وتأله في الجاهلية . والعباس بن
مرداس نفسه كان كاتباً ، ذكر انه لما سمع ان رجلاً من أهل مكة اشترى إبلاً
لقيس بن نسيبة فلواه حقه ، وان (قيساً) قام بمكة يقول :

يا آل فهرٍ كنت في هذا الحرم في حرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

بلغ ذلك (عباس بن مرداس) فكتب إليه أبياتاً منها :

وأنت البيوت وكن من أهلها مدداً تلق ابن حرب وتلق المرء عبّاساً

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه ، وقال : أنا لك جار ما دخلت
مكة ، فكانت بينه وبين بني هاشم مودة^٣ .

وفي جملة من كان يكتب ويقرأ من أهل مكة (حرب بن أمية) . واليه
ينسب قوم من أهل الأخبار ادخال الكتابة بين قریش . وهو أبو (أبي سفيان
ابن حرب) ، فهو جدّ (معاوية بن أبي سفيان) . وورد ان الذي حمل
الكتابة الى قریش بمكة (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة) . فهو ناشر الكتابة
على هذه الرواية بين أهل مكة^٤ . والاثنان على رأي أهل الأخبار من أقدم كتّاب
مكة اذن ، بل هما ناشرا الكتابة بها . وقد ذهب (ابن قتيبة) ان (بشر بن
عبد الملك العبادي) علم (أباسفيان بن أمية) ، و (أباقيس بن عبد مناف بن زهرة)

- ١ الاستيعاب (٣ / ٤٣٨ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٣ / ٤٤٠) ،
(رقم ٨٢٢٦) .
- ٢ الجهشياري (١٦) ، الاصابة (٤ / ٣١) ، (رقم ١٨٨) .
- ٣ الاصابة (٣ / ٢٤٩ وما بعدها) ، (٧٢٤٤) .
- ٤ الفهرست (ص ١٣) ، المعارف (٧٣) .

الكتاب ، فعلمًا أهل (مكة)^١ . وقد ذكر (السيوطي) عن (أبي طاهر) السلفي في (الطيوريات) بسنده عن (الشعبي) ، انه « قال : أول العرب الذي كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس » . تعلم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار^٢ .

ولو أخذنا برأي من قال إن (حرب بن أمية) أو (أبو سفيان بن أمية) ، هما أول من علم أهل مكة الكتابة ، نكون قد جعلنا (بني أمية) أول من أدخل القلم الى مكة ، بفضل تعليم (بشر) لهم هذا القلم . ومنهم انتشر بين أهل مكة في عهد غير بعيد عن أيام النبي .

وذكر ان في جملة من كان يكتب قبل الاسلام (عمرو بن عمرو بن عدس)^٣ . وذكر (ابن النديم) ان (أسيد بن أبي العيص) كان من كتّاب العرب . وذكر انه كان في خزاعة (المأمون) كتاب بخط (عبد المطلب بن هاشم) في جلد آدم ، فيه ذكر حق (عبد المطلب بن هاشم) من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري ، من أهل وزل صنعا عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحدييدة ومّتي دعاه بها أجابه . وكان الخط شبه خط النساء^٤ .

وكان (حنظلة بن أبي سفيان) من يحسن الكتابة والقراءة بمكة . فقد ورد في الأخبار انه كتب من مكة الى والده (أبو سفيان) ، وكان إذ ذاك مع العباس بن عبد المطلب بنجران ، يخبره خبر الرسول^٥ . وكان والده يكنى به . وقد قتله (علي بن أبي طالب) يوم (بدر)^٦ .

وكان (بغيض بن عامر بن هاشم) من كتّاب قريش قبل الاسلام . وهو الذي كتب الصحيفة على بني هاشم^٧ . وورد ان (أبا الروم بن عبد شريحيل) واسمه (منصور بن عكرمة) هو الذي كتب الصحيفة^٨ .

-
- ١ المعارف (٥٥٣) .
 - ٢ المزهر (٣٤٢/٢) .
 - ٣ المزهر (٣٥١/٢) ، (النوع الثاني والاربعون : معرفة الكتابة) .
 - ٤ الفهرست (١٣ وما بعدها) .
 - ٥ الاغانى (٢٥٠/٦) ، (دار الكتب) .
 - ٦ نسب قريش (١٢٣) .
 - ٧ كتاب نسب قريش (٢٥٤) .
 - ٨ كتاب نسب قريش (٢٥٥) ، الروض الانف (٢١٩/١) .

وكان (الوليد بن الوليد) وهو أخو (خالد بن الوليد) ممن يكتب ويقرأ ، وكان (خالد) ممن يقرأ ويكتب كذلك . وكان الوليد سبب اسلام (خالد) . فقد كان قد فر من مكة ولحق بالرسول عمرة القضيّة ، وكتب الى أخيه خالد ، ان الرسول قال له : « لو أتانا ، لأكرمناه ، وما مثله سقط عليه الاسلام في عقله » ، فوقع الاسلام في قلب خالد . وكان سبب هجرته^١ .

وكان (نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي) القرشي ممن يكتب . أسلم يوم الفتح . وهو الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب^٢ ، أو المصحف له . وذكر انه كان يكتب المصاحف ، وانه كتب المصاحف لعثمان^٣ ، فيظهر انه كان من نساخ المصاحف ، ينسخها للناس .

وكان (حاطب بن أبي بلتعة) من الكتّاب . وكان حليفاً لبني أسد بن عبد العزى ، ويقال حالف الزبير ، وقيل مولى (عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد) . وهو الذي كتب كتاباً الى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله اليهم ، فنزلت فيه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم^٤ » . وقد شهد مع علي بن أبي طالب على كتاب رسول الله لسلمة بن مالك السلمية ، الذي كتب الرسول به اقطاعه ما بين ذات الحناظي الى ذات الأساود^٥ .

وكان الحكم بن أبي أحيحة سعيد بن العاصي ، وهو الذي سمّاه رسول الله (عبد الله) من اولئك الذين أمرهم الرسول ان يعلم الكتاب بالمدينة . وكان كاتباً قتل يوم (مؤتة)^٦ .

يقول أهل الأخبار : ولما نزل الوحي كان « في قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وطلحة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو ، أخو سهيل بن عمرو العامري من قريش ،

- ١ نسب قريش (٣٢٤) .
- ٢ الاستيعاب (٥١٠/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٣ الاصابة (٥١٥/٣) ، (رقم ٨٦٥٨) .
- ٤ الاصابة (٢٩٩/١) ، (رقم ١٥٣٨) ، المقرئزي ، امتاع (٣٦٢/١) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .
- ٦ نسب قريش (١٧٤) .

وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية ،
 وخالد بن سعيد أخوه ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وحويطب بن
 عبد العزى العامري ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان ،
 وجهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف ، ومن حلفاء قريش :
 العلاء الحضرمي ^١ .

ولكننا لو أحصينا أسماء من كان يكتب من أهل مكة، ممن نص أهل الأخبار
 على أسمائهم ، ومن لم ينصوا على اسمهم ، وانما ذكروهم عرضاً في اثناء كلامهم
 عنهم فذكروا أنهم كانوا يكتبون ويقرأون ، لوجدنا ان عددهم أكثر بكثير من
 هذا الرقم المذكور ، رقم سبعة عشر كاتياً ، او بضعة عشر نقرأ ^٢ ، وهو عدد
 ورد اليهم على ما يظهر من خبر آحاد ، انتشر في الكتب، فصار متواتراً منتشرأ
 حتى في كتب المؤلفين في هذا اليوم ، اتخذوه دليلاً على أمية العرب قبل
 الاسلام .

وقد استعان الرسول بقوم كتبوا له ، أشار العلماء الى أسمائهم . منهم من كتب
 له الوحي ، فعرفوا من ثم بـ (كتاب الوحي) . ومنهم من كتب له بريده
 ورسائله، ومنهم من تولى له تدوين المغانم وأمور الزكاة والحرص والصدقة وما الى
 ذلك من امور اقتضاها تطور الظروف والأحوال ، ومنهم مثل (زيد بن ثابت)
 من كتب له بالعربية وبالعبرانية او السريانية . وذكر ان بعضهم كان مثل زيد
 يكتب بغير العربية أيضاً . وكان ممن كتب له : (علي بن ابي طالب) ،
 و (عثمان بن عفان) ، و (معاوية بن أبي سفيان) ، و (حنظلة الأسدي) ،
 و (خالد بن سعيد بن العاص) ، و (ابان بن سعيد) ، و (العلاء بن
 الحضرمي) ، و (عبدالله بن أبي سرح) ^٣ .

وروي ان « أول من كتب له أبي بن كعب ، وكان اذا غاب أبي كتب
 له زيد بن ثابت » ، وكان يكتب في الجاهلية ^٤ .

-
- ١ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) .
 - ٢ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) ، العقد الفريد (٢٤٢/٤) .
 - ٣ الطبري (١٧٣/٣) (ذكر من كان يكتب لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم) ،
 التنبيه والإشراف (٢٤٥ وما بعدها) ، الوزراء والكتاب (١٢ وما بعدها) ، العقد
 الفريد (٢٤٦/٤) .
 - ٤ الطبري (١٧٣/٣) ، (دار المعارف) ، المعارف (١١٢ وما بعدها) .

وجاء في ترجمة أنس بن مالك : أن أمه جاءت به يوم قدم الرسول يثرب وقالت له : « يا رسول الله ، هذا ابني وهو غلام كاتب »^١ . ومعنى هذا أن غلام يثرب كانوا يقرأون ويكتبون .

وقد ورد في أخبار (بدر) أنه كان في أسرى قريش قوم يقرأون ويكتبون ، وقد أمر رسول الله بفك رقاب هؤلاء الأسرى على أن يكون فداؤهم تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة^٢ . وقد علم كل واحد منهم صبيان يثرب الكتابة فانتشرت الكتابة بينهم^٣ .

وذكر أن ممن كتب لرسول الله : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير بن العوام ، وخالد وإبان ابننا سعيد بن العاص ، وحنظلة الأسدي ، والملاء بن الحضرمي ، وخالد بن الوليد ، وعبدالله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وعبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهيم بن الصلت ، ومعقيب بن أبي فاطمة ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبدالله ابن الأرقم الزهري . وذكر أن عدد من كتب للرسول ثلاثة وأربعون كاتباً^٤ .

وأول من كتب للنبي من قريش (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) ، وأول من كتب له مقدمه المدينة (أبي بن كعب) ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب : وكتب فلان بن فلان . وهو من كتاب الوحي والرسائل . وقد كان (عبدالله بن الأرقم الزهري) من كتاب الرسائل للرسول ، وأما الكاتب لمهوده إذا عهد وصلحه إذا صالح ، فعلي بن أبي طالب^٥ . وقد وردت في أواخر بعض كتب الرسول أسماء كتاب تلك الكتب .

وفي طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أمر بتدوينه رسول الله لنهشل بن مالك الوائلي من باهلة ، كتبه (عثمان بن عفان)^٦ .

- ١ ابن سعد ، الطبقات الكبرى (١٠/٧) .
- ٢ طبقات (١/٢ ص ١٤) .
- ٣ امتاع الاسماع (١٠١/١) .
- ٤ الاستيعاب (٣٠/١) ، (حاشية على الاصابة) ، الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب (١٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٤٦/٤) .
- ٥ الاستيعاب (٣٠/١) ، الجهشيارى ، (١٣) .
- ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .

وكان (علي بن أبي طالب) من كتاب الوحي ، والكاتب لعهود الرسول
إذا عهد ، وصلحه إذا صالح^١ . ذكر أنه تعلم الكتابة وهو صغير ، ابن أربع
عشرة سنة ، تعلمها في (الكتاب)^٢ .

وكان من كتّاب رسول الله الذين كتبوا له الرسائل الى سادات القبائل يدعوهم
فيها الى الاسلام : خالد بن سعيد بن العاص^٣ ، والمغيرة بن شعبة^٤ ، ومعاوية^٥ ،
وعبدالله بن زيد^٦ ، وأبي بن كعب^٧ ، وعلي^٨ . وجهم بن الصلت^٩ ، والأرقم
ابن أبي الأرقم المخزومي^{١٠} ، والزيبر بن العوام^{١١} ، والعلاء بن الحضرمي^{١٢} ،
وعقبة^{١٣} ، والعلاء بن عقبة^{١٤} ، وعثمان بن عفان^{١٥} ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري^{١٦} ،
وثابت بن قيس بن شماس^{١٧} .

وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، من كتاب الرسول ، وقد كان أول مرتد
في الإسلام . ارتد وكان قد خالف في كتابه إمامه ، فأنزل الله فيه آيات من
القرآن نهى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهرب ، فلما كان يوم (الفتح) التجأ^{١٨} الى
(عثمان) أخوه من الرضاعة فأجاره ، واستجار له (عثمان) عند النبي فأجاره له .
وقد عينه (عثمان) عاملاً على مصر ، وافتتح لإفريقية ، ومات سنة ست وثلاثين ،

- ١ الاستيعاب (٣٠/١) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٢ الفصول المختارة ، للمفيد (٦٦/٢) ، (النجف) .
- ٣ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٥/١ ، ٢٧١) .
- ٤ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٦/١ ، ٢٦٨) .
- ٥ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٦/١ ، ٢٦٧) .
- ٦ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٧/١) .
- ٧ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٧/١ ، ٢٧٨) .
- ٨ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٧/١) .
- ٩ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٨/١) ، الاصابة (٢٥٧/١) ، (١٢٥٦) .
- ١٠ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٨/١ ، ٢٦٩) .
- ١١ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٩/١) .
- ١٢ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٩/١ ، ٢٧١) .
- ١٣ ابن سعد ، الطبقات (٢٧١/١) .
- ١٤ ابن سعد ، الطبقات (٢٧١/١ ، ٢٧٣) .
- ١٥ ابن سعد ، الطبقات (٢٨٤/١) .
- ١٦ ابن سعد ، الطبقات (٢٨٦/١) .
- ١٧ ابن سعد ، الطبقات (٢٨٦/١) .
- ١٨ رسائل الجاحظ (١٨٨/٢) .

أو سبع وخسين ، أو تسع وخسين^١ . وروي أنه كان أول من كتب له من قريش^٢ .

وهناك رواية يرجع سندها الى (أنس بن مالك) ، تذكر أن « رجلاً كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سمياً بصيراً ، كتب سمياً علياً ، وإذا أملى عليه سمياً علياً ، كتب سمياً بصيراً . وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان من قرأهما قرأ قرآناً كثيراً ، فتنصر الرجل ، وقال إنما كنت أكتب ما شئت عند محمد .. قال : فات^٣ . ولا نعرف كاتباً ينطبق عليه هذا الوصف سوى (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) . فهو المراد بهذه القصة . وهي قصة لا يمكن أن تكون صحيحة ، لأن ارتداد (عبدالله) إنما كان بمكة ، فدليل النص عليه في سورة الأنعام^٤ ، وهي سورة مكية ، فكيف يكون قد قرأ سورة البقرة وآل عمران ، ثم تنصر ، وهما سورتان مدينتان .

وفي (عبدالله) نزلت الآية : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال : أوحى إليّ ولم يوحّ إليه شيء . ومن قال : سأُنزل مثل الذي أنزل الله »^٥ ، على رأي أكثر المفسرين . « كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يملي عزيز حكيم ، فيكتب غفور رحيم ، فيغيره ، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل ، فيقول نعم سواء . فرجع عن الإسلام ، ولحق بقريش . وقال لهم : لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم ، فأحوّله ثم أقول لما أكتب ، فيقول : نعم سواء . ثم رجع الى الإسلام قبل فتح مكة » . وورد في رواية أخرى : « وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سمياً علياً ، كتب هو عليماً حكيماً : وإذا قال : علياً حكيماً ، كتب سمياً علياً ، فشك وكفر . وقال : إن كان محمد يوحى إليه ، فقد أوحى إليّ وإن كان الله ينزله ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله . قال محمد : سمياً علياً . فقلت أنا : عليماً حكيماً .

-
- ١ الاصابة (٣٠٩/٢) ، (رقم ٤٧١١) .
 - ٢ الاستيعاب (٣٠/١) ، (حاشية على الاصابة) ، البلاذري ، انساب (٣٥٨/١) ، الجهشيارى (١٣) .
 - ٣ السجستاني ، المصاحف (٣) .
 - ٤ اسباب النزول (١٦٥) .
 - ٥ الانعام ، الآية ٩٣ .

فلحق بالمشركين ، ووشى بعمّار وجبير عند ابن الحضرمي ، أو لبني عبد الدار ، فأخذوهم فعدّبوها^١ .

وورد في رواية أخرى : « كان قد تكلم بالإسلام فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم يكتب له شيئاً ، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة . أملاها عليه ، فلما انتهى الى قوله : ثم أنشأ خلقاً آخر ، عجب عبدالله في تفصيل خلق الإنسان ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت عليّ ، فشك عبدالله حينئذ ، وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إلي كما أوحى اليه ، ولئن كان كاذباً ، لقد قلت كما قال . وذلك قوله : ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . وارتسد عن الإسلام^٢ .

وورد أنه كان يقول : كنت أصرف محمداً حيث أريد . كان يمي عليّ عزيز حكيم ، فأقول : أو عليم حكيم ، فيقول : نعم كل صواب . فهلدر النبي دمه^٣ . وذكر أنه « قال لقريش : أنا آتني بمثل ما يأتي به محمد . وكان يمي عليه الظالمين ، فيكتب : الكافرين ، يمي عليه سميع عليم ، فيكتب : غفور رحيم وأشبه ذلك . فأنزل الله : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحى إليّ ، ولم يوح إليه شيء . ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله بقتله ، فكلمه فيه عثمان بن عفّان ، فأمر رسول الله بتركه^٤ .

وقد ذكر (الجاحظ) أنه « كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخالف في كتابة املائه . فأنزل الله فيه آيات من القرآن نهى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهرب حتى مات بجزيرة العرب كافراً^٥ . والصحيح أنه هرب ، فلما كان يوم الفتح أمن النبي الناس إلا أربعة نفر وامرأتين . عكرمة ، وابن خطل ، ومقيس ابن صبابه ، وابن أبي سرح ، فأما عبدالله فاخْتَبأ عند عثمان ، فجاء به حتى

١ تفسير الطبري (١٨٠/٧ وما بعدها) .

٢ أسباب النزول (١٦٥) .

٣ المعارف (١٣٠ وما بعدها) ، امتاع الاسماع (٣٩٣/١) .

٤ فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) ، المعارف (٣٠٠ وما بعدها) .

٥ ذم أخلاق الكتّاب ، رسائل الجاحظ (١٨٨/٢) .

أوقفه على النبي ، وهو يبايع الناس ، فاستجار له عثمان ، فأجاره . وعاش وشهد فتح مصر مع (عمرو بن العاص) ، وأمره (عثمان) على مصر . واختلف في وفاته ، فقيل مات سنة (٣٦ هـ) وقيل عاش الى سنة تسع وخمسين . وكان أخاً لعثمان في الرضاعة ^١ .

وكان (جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبية) ، ممن تعلم الخط في الجاهلية ، فجاء الاسلام وهو يكتب ، وقد كان كتب لرسول الله ^٢ . ذكر انه كان هو و (الزبير بن العوام) يكتبان أموال الصدقات ^٣ . وهو الذي كتب كتاب الرسول الى (يمنة بن رؤبة) بتبوك ، وكتابه ليزيد بن الطفيل الحارثي ^٤ .

وذكر اسم (الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي) في جملة من كتب للرسول . ففي طبقات ابن سعد ، أنه كتب له كتابه لعبد يغوث بن وعلة الحارثي ^٥ ، وكتابه لعاصم بن الحارث الحارثي ^٦ ، وكتابه للأجيب ، رجل من (بني سليم) ^٧ . وكان اسمه (عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم) ، ويكنى (أبا عبدالله) . كان من السابقين الأولين ، قيل أسلم بعد عشرة ، وقيل قبل ذلك . وكان رسول الله يجلس في داره التي على (الصفا) ، حتى تكاملوا أربعين رجلاً ، وكان آخرهم إسلاماً (عمر) فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا ، وأقطعهم النبي داراً بالمدينة ^٨ .

و (عبدالله بن الأرقم بن أبي الأرقم) من كتاب الرسول كذلك . كان يجب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب الى بعض الملوك

-
- ١ الاصابة (٣٠٩/٢) ، (رقم ٤٧١١) ، أسد الغابة (١٧٣/٣) ، الاستيعاب (٢٨١/١) .
 - ٢ الاصابة (٢٥٧/١) ، (رقم ١٢٥٦) ، فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) ، الاستيعاب (٢٤٩/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، (كتاب من حضر من الكتاب) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٦٩/١) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) وما بعدها .
 - ٨ الاصابة (٤٢/١) وما بعدها ، (رقم ٧٣) .

فيكتب ويحتم ولا يقرأه لأمانته عنده . « قال عمر : كتب الى النبي ، صلى الله عليه وسلم كتاب . فقال لعبدالله بن الأرقم الزهري : أجب هؤلاء عني . فأخذ عبدالله الكتاب فأجابهم ، ثم جاء به ، فعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أصبت . قال عمر : فقلت : رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما كتبت ، فما زالت في نفسي يعني حتى جعلته على بيت المال »^١ . وكتب لأبي بكر وعمر ، وكان على بيت المال أيام عمر ، وكان أميراً عنده . وذكر أنه كان إذا غاب عن الرسول ، وغاب زيد بن ثابت ، واحتاج الرسول أن يكتب الى أحد أمر من حضر أن يكتب . فن هؤلاء عمر وعلي وخالد بن سعيد والمغيرة^٢ .

وكان عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري ، والعلاء بن عقبة ، يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات^٣ . وذكر ان (عبدالله بن الأرقم) الزهري ، كان من المواظمين على كتابة الرسائل عن النبي^٤ .

وكان (حنظلة بن الربيع بن صيفي) الأسدي ، من كتاب الرسول ، وقد نعته الطبري ب (كاتب النبي)^٥ . وعرف ب (الكاتب) . وهو من (بني أسيد) ، وبنو أسيد من أشرف تميم . وهو ابن أخي (أكثم بن صيفي) حكيم العرب^٦ . وقد عرف ب (حنظلة الكاتب)^٧ . وذكر انه كان « خليفة كل كاتب من كتاب النبي ، اذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب . وكان يضع عنده خاتمه ، وقال له : ألزمني ، واذكرني بكل شيء لثلاثة . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة ايام إلا أذكره ، فلا يبيت رسول الله وعنده شيء منه » . ومات بمدينة الرها^٨ .

- ١ الاصابة (٢/٢٦٥) ، (رقم ٤٥٢٥) ، نزهة الجليس (٢/٦٥) .
- ٢ الاصابة (٢/٢٦٥) ، (رقم ٤٥٢٥) .
- ٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) .
- ٤ الاستيعاب (١/٣٠) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٥ الطبري (٣/٥٧٠) « دار المعارف » ، المعارف (٢٩٩ وما بعدها) .
- ٦ الاستيعاب (١/٢٧٨) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٧ فتوح البلدان (٤٥٩) ، الاصابة (١/٣٥٩) ، (رقم ١٨٥٩) .
- ٨ الجهشياري (١٢) .

ومن كتاب الرسول : (شرحيل بن حسنة) الطابخي . ويقال الكندي^١ ،
ويقال التميمي^٢ . وهو ممن سيره (أبو بكر) في فتوح الشام . وكان أميراً على
ربع من أرباع الشام لعمر بن الخطاب ، وقد مات في طاعون (عمواس) .

وكان (خالد بن سعيد بن العاص) (خالد بن سعيد بن العاصي) ممن
كتب للرسول . كتب له كتابه الى (بني عمرو بن حمر)^٣ . وهو من السابقين
الأولين . وقد استعمله الرسول على صدقات منسحق^٤ وعلى صنعاء ، فلم يزل
عليها الى أن مات رسول الله^٥ . وكان له اخوة هما : أبان وعمرو بن سعيد بن
العاص ، وكانا ممن عملا للرسول . فلما توفي الرسول ، رجعا مع خالد عن أعمالهم ،
فخرجوا الى الشام^٦ ، وفي جملة ما كتبه خالد ، كتاب الرسول لبني أسد^٧ ،
وكتابه للعداء بن خالد بن هوذة ومن تبعه من عامر بن عكرمة^٨ ، وكتابه لراشد
ابن عبد السلمى ، وكتابه لحرام بن عبد عوف من (بني سليم)^٩ ، وكتابه
لبني غاديا ، وهم قوم من يهود ، وكتابه لبني عريض ، قوم من يهود^{١٠} ،
وكتابه لثقيف^{١١} ، وكتابه لسعيد بن سفيان الرعلي^{١٢} .

وكان (أبان بن سعيد بن العاص) (العاصي) ، وهو أخو خالد ، ممن
أسلم بعد هجرة الرسول إلى يثرب . ويقال أيام خيبر . وكان هو السدي تولى
إملاء مصحف عثمان على زيد بن ثابت ، يوم جمعه في خلافة عثمان ، أمرهما
بذلك عثمان . وذلك في رواية من جعله حياً إلى أيام الخليفة (عثمان) . وزعم في

-
- ١ فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) .
 - ٢ الاصابة (١٤١/٢) ، (رقم ٢٨٦٩) ، الاستيعاب (١٣٨/٢) وما بعدها ،
(حاشية على الاصابة) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/١) ، الجهشيارى (١٢) .
 - ٤ الاصابة (٤٠٦/١) ، (رقم ٢١٦٧) ، الاستيعاب (٣٩٨/١) وما بعدها ،
(حاشية على الاصابة) .
 - ٥ الاستيعاب (٤٠٠/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٦ الاصابة (٥٣٢/٢) ، (رقم ٥٨٤٨) ، الاستيعاب (٤٠٠/١) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) ،
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
 - ٩ ابن سعد ، طبقات (٢٧٤/١) .
 - ١٠ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
 - ١١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .
 - ١٢ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

روايات أخرى انه قتل يوم أجنادين سنة ثلاث عشرة ، أو يوم اليرموك . وقيل قتل يوم مرج الصفر . وذكر في رواية انه توفي سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان^١ .

وكان (طلحة) من الكتبة^٢ . وهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى . وكان تاجراً ، وكان عند وقعة بدر في تجارة في الشام . ولما قلم المدينة آخى النبي بينه والزبير^٣ . وذكر انه آخى بينه وبين (كعب بن مالك) حين آخى بين المهاجرين والأنصار . وكان من الأغنياء ، كانت غلته ألفاً وافيأ كل يوم . والوافي وزنه وزن الدينسار ، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبعلية^٤ .

والزبير بن العوام في جملة من كتب للرسول . كتب له كتابه لبني معاوية بن جرول الطائيين^٥ .

و (أبو عبيدة بن الجراح) ، من هذه الجعاعة الكاتبة القسارثة . وهو من الأوائل الذين دخلوا في الاسلام ، كان إسلامه قبل دخول النبي دار (الأرقم) ، وقد آخى الرسول بينه وبين (سعيد بن معاذ)^٦ .

و (العلاء بن الحضرمي) ، وهو (عبدالله بن عماد) ، وكان أبوه قسداً سكن مكة وحالف حرب بن أمية ، وكان للعلاء عدة إخوة منهم : (عمرو بن الحضرمي) ، وهو أول قتيل من المشركين ، وماله أول مال خمس في المسلمين ، وبسببه كانت وقعة بدر . وقد استعمل النبي (العلاء) على البحرين^٧ . وهو الذي كتب للرسول كتابه لبني معن الطائيين^٨ ، وكتاباه لأسلم من خزاعة^٩ . وكان

- ١ الاصابة (٢٤/١) ، (رقم ٢) .
- ٢ المزهر (٣٥١/٢) .
- ٣ الاصابة (٢٢٠/٢) ، (رقم ٤٢٦٦) .
- ٤ الاستيعاب (٢١٠/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٦٩/١) .
- ٦ الاصابة (٢٤٣/٢) ، (رقم ٤٤٠٠) ، الاستيعاب (٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٧ الاصابة (٤٩١/٢) ، (رقم ٥٦٤٤) .
- ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٦٩/١) ، (صادر) .
- ٩ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

أخوه (ميمون بن الحضرمي) صاحب بئر (ميمون) التي بأبطح مكة، احتضرها في الجاهلية . وذكر (المسعودي) أن العلاء ربما كتب بين يدي النبي مع (ابان ابن سعيد) ^١ .

و (يزيد بن أبي سفيان) أخو (معاوية) من الكتاب كذلك توفي سنة (١٨) أو (١٩) للهجرة ^٢ . وهو ممن أسلم يوم الفتح . وقد كان عمر قد استخلفه على (الشأم) بعد وفاة (معاذ) ، فلما مات استخلف أخاه (معاوية) ^٣ .

وكان (معاوية بن أبي سفيان) من كتبة الرسول . وذكر أنه كان (من الكتبة الحسبة الفصحاء) ^٤ . ومعنى هذا أنه كان يتقن الكتابة والحساب . ولم يذكر من ذكر سيرته متى تعلم الكتابة . ولا استبعد أن يكون قد تعلمها بمكة قبل دخوله في الإسلام . وهو ممن ولد قبل الإسلام وأسلم عام الفتح . فتكون كتابته للرسول اذن بعد هذا العام . ومن كتبه التي كتبها للرسول كتابه لربيعة بن ذي مرحب الحضرمي ^٥ ، وكتابه لبني قرة بن عبدالله بن أبي نجيح النبهانيين ^٦ ، وكتابه لعتبة بن فرقند ^٧ ، وكتابه لوائل بن حجر لما أراد الشخصوص الى بلاده ^٨ .

وذكر (المسعودي) أن (معاوية) كتب للرسول قبل وفاته بأشهر ^٩ . و (المغيرة بن شعبة) من دهاة العرب وشياطينهم . أسلم قبل عمرة الحديبية . وكان يقال له (مغيرة الرأي) . وكان رسول (سعد) الى (رستم) ، أصيبت عينه باليرموك ، وروي انه كان أول من وضع ديوان البصرة ، وأول من سلم

- ١ التنبيه (٢٤٦) .
- ٢ الاصابة (٦١٩/٣) ، (رقم ٩٢٦٧) .
- ٣ الاستيعاب (٦١٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٤ الاصابة (٤١٢/٣) وما بعدها ، (رقم ٨٠٧٠) الاستيعاب (٣/٣٧٥) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) ، الجهشيارى (١٢) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
- ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٦٧/١) .
- ٧ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .
- ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٨٧/١) .
- ٩ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) .

عليه بالامرة^١ . وهو الذي كتب كتاب رسول الله الى أهل نجران^٢ . وكتابه ليزيد بن المحجل الحارثي . وكتابه لبني قنان بن ثعلبة من بني الحارث^٣ ، وكتابه لبني جوين الطائيين ، وكتابه لعامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي^٤ ، وكتابه لبني الجرمز بن ربيعة ، وهم من جهينة^٥ . وذكر انه والحصين بن نمير كانا يكتبان ما بين الناس^٦ .

و (معيقيب) ابن أبي فاطمة ، من (ذي أصبح) وقيل من (بني سدوس) ، وكان حليفاً لبني عبد شمس . أسلم بمكة . وقد ولاه (عمر) بيت المال ، ثم كان على خاتم (عثمان)^٧ . وورد انه كان حليف بني أسد ، وكان يكتب مغام رسول الله^٨ .

وكان (عقبة بن عامر بن عيس) الجهني الصحابي المشهور من الكتاب . وصف بأنه « كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، شاعراً كاتباً ، وهو أحد من جمع القرآن » . وعثر على مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف (عثمان) « وفي آخره : كتبه عقبة بن عامر بيده »^٩ . ونجد في طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أمر الرسول بكتابتها لعوسجة بن حرملة الجهني في آخره : « وكتب عقبة وشهد »^{١٠} .

وجاء في خبر ضعيف أنه كان للرسول كاتب يقال له (السجل) ، وكتابتاً يقال له : « ابن خطل ، يكتب قدام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا نزل : غفور رحيم ، كتب رحيم غفور ، وإذا نزل : سميع علم ، كتب علم سميع . وفيه : فقال ابن خطل : ما كنت أكتب إلا ما أريد ، ثم كفر ولحق بمكة .

- ١ الاصابة (٤٣٢/٣) ، (رقم ٨١٨١) .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) ، (صادر) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) ، (صادر) .
- ٤ الطبقات (٢٦٩/١) ، (صادر) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .
- ٦ الجهشياري (١٢) .
- ٧ الاصابة (٤٣٠/٣) ، (رقم ٨١٦٦) .
- ٨ الجهشياري (١٢) .
- ٩ الاصابة (٤٨٢/٢) ، (رقم ٥٦٠٣) .
- ١٠ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قتل ابن خطل ، فهو في الجنة . فقتل يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة ^١ . وهذا وهم ، وقد خلط صاحب هذا الخبر بين (عبدالله بن أبي سرح) وبين (ابن خطل) الذي لم يرد في الأخبار أنه كتب للرسول .

وذكر (ابن دحية) أن في (بني النجار) كاتباً كان يكتب الوحي للرسول ثم تنصراً ^٢ . وهو خبر لا نجده في الموارد الأخرى ، ولم ينص على اسم الكاتب ، والأغلب في نظري أنه من الأخبار الموضوعة ، وضع على بني النجار للإساءة اليهم ، وضعه من كان يتحامل عليهم .

ويظهر ان كتاب الرسول قد وزعوا الأعمال الكتابية فيما بينهم، او ان الرسول هو الذي وزع تلك الأعمال عليهم ، بحيث خصص كل واحد منهم بعمل من الأعمال . فقد روي ان علياً وعثمان كانا يكتبان الوحي فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت . وان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية يكتبان بين يديه في حوائجه ، وان المغيرة بن شعبه والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس . وان عبدالله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياهم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء . وان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي . وان معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغام رسول الله . وان حنظلة بن الربيع (ربيعة) بن المدقع بن أخي أكم بن صيفي الأسدي (الأسدي) ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي ، اذا غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب . وكان يضع عنده خاتمه . وقال له : الزمني واذكرني بكل شيء لثلاثة . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة ايام إلا اذكره ، فلا يبيت رسول الله وعنده شيء منه ^٣ . فهو كاتب عام يكتب للرسول في كل أموره ، وهو خليفة كل الكتاب . ولهذا غلبت عليه لفظة (الكاتب) . وقد كانت وفاته في خلافة (عمر) ، ومات في (الرها) من بلاد مضر ^٤ .

١ ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٣١٦/٢) .

٢ ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٣١٦/٢) .

٣ جهشياري (١٢ وما بعدها) ، المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، المعارف (١٣٠) .

٤ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) . المعارف (١٣٠) .

وذكر أن (المغيرة بن شعبة) و (الحصين بن نمير) يكتبان أيضاً فيما يعرض من حوائجه^١ .

و (حذيفة بن اليمان) (توفي سنة ٣٦ هـ) ممن يكتب خرص النخل^٢ . وخصص (المسعودي) عمله بخرص الحجاز^٣ .

وذكر (عبدالله بن زيد) الضمري في جملة كتّاب رسول الله الي الملوك^٤ . ونجد في طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أرسله رسول الله (لمن أسلم من حدّس من لحم) ، كتبه له (عبدالله بن زيد)^٥ .

وكان (العلاء بن عقبة) فيمن كتب للنبي . وذكر أن الرسول كان يعيشه والأرقم في دور الأنصار . وكانا يكتبان بين الناس المدائبات والعهود والمعاملات^٦ . وفي جملة ما كتبه للرسول كتابه لبني شَنَخ من جهة^٧ ، وكتابه للعباس بن مرداس السلمي ، أنه أعطاه (مدفواً)^٨ . وذكر أنهما كانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء^٩ .

و (أبي بن كعب بن قيس) من كتّاب الوحي ، وهو من يثرب من (بني النجار) من (الخزرج) . وقد عرف بـ (سيد القراء) ، وكان أقرأ الناس للقرآن . وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله . وكان ممن كتب للنبي قبل (زيد بن ثابت) ومعه أيضاً . وذكر انه كان أول من كتب لرسول الله مقدمه المدينة ، وأول من كتب في آخر الكتاب : « وكتب فلان » وكان اذا لم يحضر دعا رسول الله (زيد بن ثابت) فكتب . وكان وزيد يكتبان الوحي

-
- ١ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، نهاية الارب (٢٣٦/١٨ وما بعدها) .
 - ٢ المعارف (١١٤) ، نهاية الارب (٢٣٦/١٨) .
 - ٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) .
 - ٤ الاصابة (٣٠٥/٢) ، (رقم ٤٦٩٠) .
 - ٥ الطبقات (٢٦٦/١ وما بعدها) .
 - ٦ الاصابة (٤٩١/٢ وما بعدها) ، (رقم ٥٦٤٩) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
 - ٩ الجهشيارى (١٢) .

بين يدي الرسول ، ويكتبان كتبه الى الناس وما يقطع وغير ذلك^١ . ونجد في طبقات ابن سعد ، صور كتب دوتها أبي للرسول ، منها كتابه لخالد بن ضداد الأزدي ، وكتابه لعمر بن حزم ، وهو عهد يعلمه فيه شرائع الاسلام وفرائضه وحدوده ، حيث بعثه الى اليمن^٢ ، ومنها كتابه لجنادة الأزدي^٣ ، وكتابه للمندر ابن ساوى ، وكتابه الى (العلاء بن الحضرمي) ، بشأن ارسال ما تجمع عنده من الصدقة والعشور^٤ ، وكتابه لجماع في جبل تهامة كانوا قد غصبوا المارة من كنانة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد^٥ ، وكتابه لبارق من الأزدي . وقد شهد على صحته أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان^٦ .

وزيد بن ثابت من الأنصار ، من (بني النجار) . ولما قدم الرسول المدينة استكتبه ، فكتب له الوحي ، كما تولى له أمر كتابة الرسائل . ذكر أنه تعلم الكتابة على أسرى (بدر) في جماعة من غلمان الأنصار . فقد « كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت ممن علم » . وذكر أنه جاء الى أبيه وهويبيكي ، فقال ما شأنك ؟ قال : ضربني معلمي ، قال : الخبيث يطلب بدحل بدر ، والله لا تأتيه أبداً^٧ .

وروي أنه في السنة الرابعة من الهجرة أمر الرسول زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ، وقال لا آمن أن يبدلوا كتابي^٨ . فتعلم كتابهم ، وتولى أمر كتابة رسائل الرسول اليهم ، والرد على رسائلهم^٩ . ونسب اليه اتقانه الكتابة بلغات أخرى . ذكر المسعودي منها : الفارسية والرومية والقبطية والحبشية . وأنه تعلم

- ١ الاستيعاب (٢٧/١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٣١/١) ، (رقم ٢٢) ، فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) ،
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٧/١) ، المعارف (٢٦١) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) .
- ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٦/١) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) .
- ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١ وما بعدها) .
- ٧ امتاع الاسماع (١٠١/١) ، الطبقات (١٤/٢) ، الجهشيارى (١٢) .
- ٨ امتاع الاسماع (١٨٧/١ ، ١٩٤) ، السجستاني ، المصاحف (٣) .
- ٩ فتوح البلدان (٤٧٣ وما بعدها) .

ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن ، وكان يكتب الى الملوك ويحيب بحضرة النبي و يترجم له^١ وقيل إنه كان من أعلم الصحابة بالفرائض^٢ . وكان هو الذي تولى قسم غنائم اليرموك . وتولى جمع القرآن في أيام أبي بكر ، بتكليف من الخليفة . وذكر أنه كان « رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض »^٣ . وقد عرض زيد القرآن على رسول الله ، « وكان آخر عرض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، القرآن على مصحفه ، وهو أقرب المصاحف من مصحفنا »^٤ .

وكان حين قدم رسول الله المدينة ابن احدى عشرة سنة . وكان يوم (بعث) ابن ست سنين وفيه قتل أبوه . ويظهر انه كان قد تعلم الكتابة وهو صغير . ذكر انه أتى يزيد النبي مقدمه المدينة ، فقيل هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة ، فقرأ عليه فأعجبه ذلك ، فقال : تعلم كتاب يهود ، فإني ما آمنهم على كتابي . فتعلمها ، وتولى الكتابة بالعبرانية أو السريانية بين الرسول واليهود ، فضلاً عن كتابة رسائله وما ينزل عليه من الوحي حين يكون عنده . لذلك عدت من البارزين في قراءة القرآن . وبرز في القضاء والفتوى والفرائض ، وعدت من أصحاب الفتوى ، وهم ستة : عمر وعليّ وابن مسعود وأبي وأبو موسى ، وزيد بن ثابت . وهو الذي جمع القرآن^٥ .

وهو الذي جمع القرآن في عهد (أبي بكر) ، وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين ، وقيل سنة احدى أو اثنتين ، أو خمس وخمسين . وفي خمس وأربعين قول الأكثر . وذكر ان حسان رثاه بقوله :

-
- ١ التنبية (٢٤٦) ، فتوح البلدان (٤٧٩) ، السجستاني ، المصاحف .
تقييد العلم (٥١) .
 - ٢ الاستيعاب (٢٩/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ الاصابة (٥٤٣/١) وما بعدها ، (رقم ٢٨٨٠) ، الاستيعاب (٥٣٢/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٤ المعارف (٢٦٠) .
 - ٥ الاصابة (٥٤٣/١) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الاستيعاب (٥٣٢/١) ، (حاشية على الاصابة) ، نزهة الجليس (٦٥/٢) ، أسد الغابة (٢٢١/٢) وما بعدها .

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت^١

وعهد رسول الله الى (زيد) احصاء الناس والغنائم ، وتقسيما عليهم حسب
حوصهم^٢ .

وكان (ثابت بن قيس بن شماس) الأنصاري ممن كتب للرسول . كتب له
كتابه لوفد ثُمالة والحدان . وقد شهد على الكتاب ووقع عليه (سعد بن عبادة) ،
و (محمد بن مسلمة)^٣ . وكان خطيب الأنصار . وقد قتل يوم اليمامة^٤ . وهو
الذي أمره الرسول أن يجيب على خطاب خطيب (تميم) ولسانها الناطق (عطارد
ابن حاجب) . فكان خطيب المسلمين^٥ .

و (محمد بن مسلمة) ، هو من الأوس . ولد قبل البعثة ، وهو أول من
سُمي في الجاهلية محمداً . أسلم قديماً على يدي (مصعب بن عمير) ، وأخى
الرسول بينه وبين (أبي عبيدة) . واستخلفه الرسول على المدينة في بعض غزواته .
وقد كتب للرسول كتابه لمهري بن الأبييض . توفي سنة (٤٣) أو (٤٦ هـ)^٦ .

وكان (أوس بن خولي) من كتّاب يثرب ، ولما كان صلح (الحديبية)
وأراد الرسول تدوين الصلح « دعا أوس بن خولي يكتب ، فقال سهيل :
لا يكتب إلا ابن عمك عليّ ، أو عثمان بن عفان ، فأمر علياً فكتب »^٧ . وهو
من الخزرج . ولما آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين آخى بينه وبين شجاع بن
وهب^٨ . وكان من (الكلمة) ، ولما قبض الرسول وأرادوا غسله ، حضرت

-
- ١ الاصابة (٥٤٤/١) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الطبري (٤٢١/٢) ، (مطبعة الاستقامة
بالقاهرة) ، تهذيب الاسماء واللغات ، للنووي (٢٠٠/١) وما بعدها ، تهذيب
التهذيب ، للعسقلاني (٣٩٩/٣) ، (حيدر آباد ١٣٢٥ هـ) ، اليعقوبي (١٥٧/٢) ،
١٩٥) ، (هوتسما) ، ابن هشام ، سيرة (١١/٣) ، (مطبعة حجازي بالقاهرة) .
 - ٢ امتاع الاسماع (٤٢٦/١) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١) ، (٣٥٤/١) ، (صادر) .
 - ٤ الاصابة (١٩٧/١) ، (رقم ٩٠٤) .
 - ٥ الطبري (١١٦/٣) ، (قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات) .
 - ٦ الاصابة (٣٦٣/٣) وما بعدها ، (رقم ٧٨٠٨) ، ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١) ،
(٣٥٥/١) ، (صادر) .
 - ٧ امتاع الاسماع (٢٩٦/١) .
 - ٨ الاصابة (٩٥/١) وما بعدها ، (رقم ٣٣٤) .

الأنصار ، وأبت على المهاجرين إلا أن يحضر منها أحد ، فقبل لهم : اجتمعوا على رجل منكم ، فاجتمعوا على أوس بن خولي ، فحضر غسل رسول الله ودفنه مع أهل بيته . وتوفي في خلافة عثمان .

وكان (عبدالله بن رواحة) الخزرجي من كتّاب الرسول ومن الشعراء المعروفين بيثرب ومن السابقين الأولين من الأنصار وأحد النقباء ليلة العقبة . وكان الرسول يقول له : « عليك بالمشركين » ، فينظم الشعر فيهم . وكان يناقض (قيس بن الخطيم) في حروبهم ، ولما دخل الرسول مكة في عمرة القضاء كان ابن رواحة بين يديه ، وهو يقول :

خلّوا بني الكفار عن سبيله اليوم فضريركم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقلبه ويذهل الخليل عن خليله

ومدح الرسول ، وكان من جيد مدحه له قوله :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبير^٢

وذكر بعض أهل الأخبار أنه لما نزلت : « والشعراء يتبعهم الغاوون . قال عبدالله بن رواحة : قد علم الله أنني منهم ، فأنزل الله : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »^٤ . وسورة الشعراء التي فيها آية : « والشعراء يتبعهم الغاوون » وما بعدها ، من السور التي نزلت بمكة إلا هذه الآية وما بعدها ، وهي أربع آيات في آخرها ، نزلت بالمدينة في شعراء الجاهلية ، ثم استثنى منهم شعراء المسلمين منهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، فقال تعالى : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فصار الاستثناء ناسخاً له من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون^٥ .

- ١ الاستيعاب (٤٩/١) ، (حاشية على الإصابة) .
- ٢ الإصابة (٢٩٨/٢ وما بعدها) .
- ٣ في الإصابة (ان الذين) ، وهو غلط مطبعي .
- ٤ الشعراء ، الآية ٢٢٤ وما بعدها .
- ٥ الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص ١٥١ وما بعدها) ، (حاشية على أسباب النزول) ، (القاهرة ١٣١٥ هـ) .

وهناك كتبة آخرون كتبوا الكتاب والكتابين والثلاثة للرسول، ذكر (المسعودي) أنه لم يثبت أسماءهم في جملة أسماء من كتب للرسول لأنه لم يكتب من أسماء كتاب الرسول إلا من ثبت على كتابته واتصلت أيامه فيها وطالت مدته وصحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً ويضاف الى جملة كتابه^١.

وذكر ان كتاب النبي كانوا يكتبون بالخط المقور ، وهو النسخي . أما الخط (المبسوط) ويسمى باليابس ، فقد استعمل في النقش على الأحجار وأبواب المساجد وجدران المباني ، وفي كتابة المصاحف الكبيرة ، وما يقصد به الزينة والزخرف ، وغلب عليه اطلاق لفظ (الكوفي)^٢.

وكان بشير بن كعب العدوي ممن قرأ الكتب^٣ . وذكر أنه كان من التابعين^٤. وكان (عبدالله بن عمرو بن العاص) ممن قرأ الكتب ، وكان يكتب الحديث بن يدي رسول الله ، ويقرأ بالسريانية^٥.

وذكر أهل الأخبار ان رجلاً من أهل اليمن كان يقرأ الكتب ، وان امرأة اسمها (فاطمة بنت مر) ، كانت قد قرأت الكتب كذلك^٦.

وكان من النساء من يحسن القراءة والكتابة . منهن : (الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس) القرشية العدوية . من رهط (عمر)^٧ . أسلمت قبل الهجرة ، وهي من المهاجرات الأول . وكانت من عقلاء النساء ، وكان (عمر) يقدمها في الرأي . وكان رسول الله يزورها ويقبل عندها في بيتها ، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه . وقد أمرها الرسول أن تعلم (حفصة) الكتابة ، فعلمتها ،

-
- ١ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) .
 - ٢ حنفى بك ناصف (٦١ وما بعدها) .
 - ٣ يضم أوله مصغراً ، الاصابة (١٨٣/١) ، (رقم ٨٢٢) .
 - ٤ الاصابة (١٧٧/١) ، (رقم ٧٧٨) .
 - ٥ المعارف (٢٨٧) ، الاصابة (٣٤٣/٢) ، (٤٨٤٧) ، الاستيعاب (٣٣٨/٢) وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٦ الروض الانف (١٠٤/١) .
 - ٧ فتوح البلدان (٤٧٧ وما بعدها) ، (٤٥٨) ، (المكتبة التجارية) .

كما علمتها (رقية) تسمى (رقية النملة)^١ . وقد تعلمت الكتابة في الجاهلية^٢ .
 وكانت (حفصة) زوج النبي وابنة (عمر) تكتب^٣ . وكانت (أم كلثوم)
 بنت (عقبة) تكتب^٤ . وكذلك كانت (عائشة بنت سعد) ، و (كريمة بنت
 المقداد)^٥ ، و (شميلة)^٦ .

وورد ان (عائشة) زوج الرسول ، انها كانت تقرأ المصحف ولا تكتب^٧ .
 ولا شك في انها تعلمتا القراءة في الاسلام .

وورد في بعض الأخبار أن العرب كانت تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب:
 صابئاً . وكانت قریش تسمي النبي أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن صابئاً^٨ .

وقد اشتهر أهل اليمن بشيوع الكتابة والقراءة فيهم ، فكان غلمانهم يتعلمونها
 ويرددون قراءة ما يكتبون ويقرأون وقد أشير الى ذلك في شعر (ليبد) فورد :

فنعاف صارة فالقنان كأنها زبر يرجعها وليد يمان
 متعود لحن^٩ يعيد بكفه قلماً على عُسب، ذبان وبان^{١٠}

والزبر : الكتب ، فقال : كأن تلك المنازل كتب يرددها وليد يمان ، أي
 غلام يمان ، لأن الكتاب فيهم ، لأنهم أهل ريف . متعود لذلك : فهم^{١١} ،
 ولحن^{١٢} : بمعنى فهم، يعيد بكفه قلماً ، يكتب في العسب والبان . وكانوا يكتبون
 في العسب والبان والعرعر^{١٣} . فيظهر من ذلك أن أهل اليمن ، حتى غلمانهم ،
 كانوا يكتبون ، ويردد الأطفال الكتب ، لحفظها ولتعلمها ، على نحو ما يفعلون
 في الكتابيب هذا اليوم .

- ١ الاصابة (٣٣٣/٤) ، (رقم ٦٢٢) .
- ٢ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
- ٣ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
- ٤ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
- ٥ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
- ٦ البلاذري ، أنساب (١٣٧/١) ، الاصابة (٣٣٥/٤) ، (رقم ٦٣٢) .
- ٧ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
- ٨ الاكليل (٤٤/١) .
- ٩ شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري ، (تحقيق الدكتور احسان عباس) ، (ص
 ١٣٨) ، (طبعة الكويت ١٩٦٢) .
- ١٠ المصدر نفسه .

ويظهر أن ثقيفاً كانت قد حذقت الكتابة وبرزت بها . فقد ورد أن عمر بن الخطاب قال : « لا يملن في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف » ، وأن عثمان ابن عفان قال : « اجعلوا المملي من هذيل والكااتب من ثقيف »^١ . وذكر أن (غيلان بن سلمة بن معتب) ، وهو ممن أسلم يوم الطائف ، كان كاتباً كما كان معلماً^٢ .

وورد في الأخبار أن الجاهليين كانوا يضعون الكتب التي ترسل الى الملوك من الآفاق ، على لوح ضمت اليه ألواح من جوانبه ، فلا تمسها إلا يد الملك ، يأخذ ما يشاء ويترك ما يشاء ويجب على ما فيها . وفي هذا الخبر دلالة على شيوع الكتابة والمراسلات عند الجاهليين ، وعلى وجود ديوان خاص لدى الملوك ، يتولى النظر في المراسلات . وفي هذا المعنى ورد في شعر لبيد :

أو مذهبٌ جدد على ألواح من الناطق المبروز والمختوم^٣

ويظهر ان قوماً من الشعراء كانوا يكتبون ويقرأون . ومنهم من كان على ثقافة وعلم . ورد في شعر للشاعر (لبيد) قوله :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زُبر تجد متونها أقلامها^٤

ولا يمكن صدور هذا البيت ، إلا من رجل كاتب له ذكاء حاد ، وربما كان ذلك الشاعر كاتباً بدون شعره ويحفظه عنده ، فوصفه مثل هذا للطلول ، لا يمكن أن يقال إلا من رجل له علم بالكتابة ، وحذق ودراية .
وفي البيت الآتي :

فدافع الرِيانُ عرِّي رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سِلامها

إشارة الى الكتابة كذلك ، فالوحي هو الكتابة ، والسلام الحجارة ، أي كان

١ ابن فارس ، الصحابي (٢٨) .

٢ المحبر (٤٧٥) .

٣ شرح ديوان لبيد (ص ١١٩) .

٤ شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٩) ، بلوغ الأرب (٣ / ٣٦٧ وما بعدها) .

ما بقي من رسمها بعد أن عريت ، مثل ما يبقى من الكتابة في الأحجار^١. ويؤخذ من ذلك ان الحجارة كانت – كما ذكرت في مواضع من هذا الكتاب – مادة من مواد الكتابة عند الجاهليين .

وفي شعر لبيد :

فتعاف صارةً فالقنسان كأنها زُبر يرجعها وليد يمان
مُتعود لحنٌ يعيد بكفّسه قلماً على عُعب ، ذبلن وبان^٢

دلالة واضحة على إلمامه بالكتابة والقراءة ، وعلى وقوفه على خط أهل اليمن ، وعلى دراسة غلمان اليمن للزبر ، وهي الكتب .

بل ورد : ان لبيداً كان يدون شعره ، ويهذبه بعد كتابته ، وانه كان يكتب. روي : « ان عمر بعث الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، يطلب اليه أن يستنشد من قبله من شعراء الكوفة ما قالوه في الاسلام . فأجابه الأغلب ، وردّ عليه لبيد قائلاً : إن شئت ما عفى عنه – يعني الجاهلية – فقال : لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام . فانطلق ، فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها ، وقال : أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر . فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص عطاء الأغلب خمس مئة ، وجعلها في عطاء لبيد^٣ .

وكان الشاعر (المرقش) ، وهو من شعراء الحيرة ، كاتباً قارئاً ، تعلم الكتابة والقراءة في (الحيرة) مع أخيه (حرملة) عند رجل من أهل الحيرة^٤ . وكذلك كان الشاعر (لقيط بن يعمر الإيادي) كاتباً قارئاً ، وقد عرف بين أهل الأخبار بـ (صحيفته) التي أرسلها الى قومه (إياد) ، ينذرهم فيها بعزم (كسرى) على غزوهم ، وهي قصيدة افتتحت بهذا البيت :

١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٧) .

٢ شرح ديوان لبيد (ص ١٣٨) .

٣ شرح ديوان لبيد (ص ٢٨ ، ٣٦) ، الاغانى (١٣١/١٥) .

٤ الاغانى (١٣٠/٦) ، المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) .

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إيراد^١

ويجب ألا ننسى الشاعر : (أمية بن أبي الصلت) الذي لم يكن كاتباً قارئاً حسب ، بل كان واقفاً على كتب أهل الكتاب كذلك ، وكان يقرأها ، ويقتبس منها ، وقد استخدم في شعره ألفاظاً ذكر أنه أخذها من كتب أهل الكتاب^٢ .

ونضيف الى من تقدم : (الزبيرقان بن بدر)^٣ ، و (النابغة الذبياني)^٤ و (الربيع بن زياد العبسي)^٥ ، و (لييد بن ربيعة العامري)^٦ ، و (كعب ابن زهير بن أبي سلمى)^٧ .

ودعوى ان الجاهليين كانوا أميين وعلى الفطرة والبلدية ، لا يحسنون كتابة وقراءة خلا نقر بمكة وأشخاص يثرب ، دعوى باردة سخيفة ، لا يمكن لمن له إلمام بأحوال الجاهلية أن يصدق بها . فأهل الأخبار الذين يروون هذه الرواية ، يعودون فيخطئون أنفسهم ، بسرد أسماء رجال من جزيرة العرب ومن العراق وبلاد الشام ، ذكروا أنهم كانوا يقرأون ويكتبون ، بل ذكروا أكثر من ذلك ، ذكروا ان منهم من كان يقرأ العبرانية أو السريانية ، كالأحناف ، ثم أنهم يذكرون أخبار مراسلات سادات القبائل في مختلف مواضع جزيرة العرب مع الرسول ، ومكاتبة مسيلمة مع النبي وتأليفه كتاباً زعم انه وحي نزل عليه من السماء مثل ما نزل على الرسول ، فهل يعقل بعد ذلك ، قول قائل ان العرب كانوا أميين ، خلا نقر . وقد رأينا أنهم تركوا آلاف الكتابات باللهجات العربية

- ١ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١٥٢/١) ، الاغاني (٢٤/٢٠) ، مختارات ابنن الشجري (٢ وما بعدها) .
- ٢ ابن هشام ، سيرة (٤٨/١) ، الاغاني (١٢٣/٣) ، (١٢١/٣ وما بعدها) ، (١٢٩/٤) ، ابن قتيبة ، المعارف (٢٨) ، ابن سعد ، الطبقات (٣٧٦/٥) ، المزهر (٣٠٩/٢) .
- ٣ الاغاني (١٨٠/٢) .
- ٤ البغدادي ، الخزانة (٣٩٢/٢ وما بعدها) .
- ٥ الاغاني (٢٢/١٦ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٣٦/١) .
- ٦ ابن قتيبة ، الشعر (٢٣٣ وما بعدها) ، الخزانة (٢١٥/٢) .
- ٧ ابن قتيبة ، الشعر (٩١/١) ، جمهرة أشعار العرب (٢٤) .

الجنوبية وبالشمودية واللحيانية والصفوية ، بل قد نجد الكتابة في بعض قبائل الجاهلية مثل قبائل الصفاة ، أكثر اتساعاً وانتشاراً مما عليه الحال بين قبائل هذا اليوم .

وبعد ، فالأمية الجماعية التي فرضها أهل الأخبار على الجاهليين ، فجعلوهم أميين مائة بالمائة ، لم تكن أمية صحيحة ، وإنما جاءت من وهم في فهم المراد من المواضع التي أشرت إليها من القرآن ، بدليل مناقضة أهل الأخبار أنفسهم ، بذكر أسماء من ذكرناهم ومن لم نذكرهم ممن كان يقرأ ويكتب بهذا القلم العربي الذي دون به القرآن . وبدليل ما أوردته من أقوال المفسرين في الأمية ، من أنها الوثنية ، لا الأمية بمعنى الجهل بالكتابة والقراءة حقاً ، لعدم انسجام هذا المعنى مع تفسير الآيات ، ثم إن القرآن الكريم حين تعرض للأمية ، بمعنى عدم القراءة والكتابة ، قال : « وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك إذا لأرتاب المبطلون »^١ . فعبّر بذلك تعبيراً مبيناً عن معنى عدم القراءة والكتابة ، بأفصح عبارة ، فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تحطه يمينك » ، ولو كانت الأمية بهذا المعنى لما أهمل ذكرها في هذا المكان . ومن ذلك الوهم جاءت الأحاديث الضعيفة من أنه كان من أمة أمية لا تحسب ولا تكتب ، ولعاطفة دينية ، شددوا في أمية العرب ، فجعلوها جميعاً أميين ، لآظهار معجزة للرسول - هو في غنى عنها - في أنه ظهر بالنبوة في أمة أمية ، وجاء من الله بأحسن بيان ، وهي حجة له على أهل الكتاب والمشركين .

وبعد ، فقد فهمنا من روايات أهل الأخبار ، ان أهل مكة انما تعلموا الكتابة في عهد غير بعيد عن الاسلام . فهل يعني هذا انهم لم يكونوا يحسنون الكتابة والقراءة قبل هذا العهد أبداً ؟ والذي أراه ان ذلك شيء غير معقول ، وان أهل مكة كانوا يكتبون ويقرأون ، كانوا يكتبون بالمسند ، القلم الذي كتب به أكثر أهل جزيرة العرب قبل الاسلام ، بدليل ما نقرأه في كتب أهل الأخبار من زعمهم ان أهل مكة كانوا يجدون بين الحين والحين كتابات مدونة بالمسند في مقبرة

١ العنكبوت ، الآية (٤٦ وما بعدها) .

مكة القديمة وفي مواضع أخرى منها ، وفي عثور الناس على هذه الكتابات دلالة على ان سكان مكة كانوا يكتبون بالمسند أو بأقلام مشتقة منه ، ولا يعقل عدم استعمال أهل الحجاز لهذا القلم ، وقد وجدنا انه والأقلام المشتقة منه ، قد كونت قلم أهل هذه البلاد قبل الاسلام ، والظاهر انهم وجدوا ان القلم الذي كان يكتب به النبط وبقية العرب ، مثل عرب الحيرة ، كان أسهل استعمالاً ومرونة من القلم المسند البطيء الحركة ، وانه لا يأخذ حجماً كبيراً بالقياس الى الخط العربي الجنوبي ، لذلك فضلوه على هذا القلم ، واستعملوه عوضاً عنه ، دون أن يجروا عليه تحويراً أو تغييراً ، لإصلاح ما فيه من خلل ، فلما جاء الاسلام ، أجرى عليه ما أجرى من تحوير وتغيير وتطوير .